

الإشراقات

٦٠ إشراقة من إشراقات مدرسة
الشيخ الأوحّد الأحسائي



الشيخ إبراهيم القديم

الإشراقات

٦٠ إشراقة من إشراقات مدرسة الشيخ الأوحاد الأحسائي



موقع الأوحاد
Awhad.com

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ



الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

اسم الكتاب: الإشراقات (٦٠ إشراقة من إشراقات مدرسة الشيخ الأوحى الأحسائي)

المؤلف: الشيخ إبراهيم القديم

مصمم الغلاف: السيد هيثم يوسف

الناشر: دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر - بيروت - بئر العبد

للتواصل: DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com

الإشراقات

٦٠ إشراقة من إشراقات مدرسة الشيخ الأوحى الأحسائي

تأليف

الشيخ إبراهيم القديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لزين الدين أحمد نور علم تضيء به القلوب المدهمة
يريد الجاحدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه

أعلام هجر - السيد هاشم الشخص : ج ١ ص ١٨٣ . عن الفوائد الرضوية .

الإهداء

إلى الذي حملتُ إليه أول كتابٍ لي فأمن بنقطة قلمي
إلى الذي عبرتُ منه جميع مؤلفاتي ؛ إما من خلال ناظريه بالمراجعة ،
أو من خلال مسمعيه بالتوجيه والإرشاد والدلالة
إلى الذي استطاع أن يروض اندفاعي بليّن الكلمة والابتسامة ، وقيم
عودي بالخوف والاستقامة .. فما زلت أتذكر جيداً كلماتك التي
تعطيني أملاً ، وتلك التي تشبعني خوفاً من أمانة الكتابة
إلى أستاذي الفاضل سماحة الشيخ عبدالمنعم العمران الأحسائي
أهدي هذا الكتاب

كنت أرغب منذ زمن إهداءك أحد المؤلفات ، فانتظرت طويلاً نهضة
القلم ليليق الإهداء بمقام صاحب الفضل عليه ؛ ولكن طال الانتظار
حتى خشيتُ أن يشيخ رحم قلمي قبل أن يولد ما يكون لائقاً بذلك ..
فتعجلت بهذا الكتاب الذي بين يديك
فاعذرني على قلة ما قدمت .. فلا أملك إلا هو والدعاء .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

منذ أن بدأنا في تنفس هواء هذا العالم ونحن نستخدم خاصية الإدراك للتعرف على حقائق الأشياء من حولنا، ولا شك أن مساحة إدراكنا وآلاته تختلف في كل مرحلة عن غيرها؛ ففي مرحلة الطفولة لا تتعدى مساحته البيئة الصغيرة التي نعيش فيها، والأشخاص الذين نحيط بهم كالأبوين مثلاً، ونعتمد كثيراً على الآلات الحسية؛ كالבصر والسمع واللمس والذوق لاكتشاف الحقائق، أما في مرحلة البلوغ وما بعدها فإن مساحة إدراكنا تتسع كثيراً، وترتبط بآلة التفكير الممنهج؛ فنبدأ في البحث عن الحقائق الأكثر عمقاً وتعقيداً، ونحيل عليها شبكات التساؤلات التي تلامس تفاصيلها بدقة، وتلك التي تجعل تصورها أو الوقوف على أحد مصاديقها أقرب إلى الذهن.

ومن أكثر الحقائق التي تثير فضولنا، وتلتذ بتساؤلاتها عقولنا في هذه المرحلة، هي تلك البعيدة عن إطار عالمنا المشهود، والواقعة في منطقة الغيب وما يرتبط بها. وبغض النظر عن تنوع الحقائق الواقعة في

هذه المنطقة فإن الإلهية منها تحتل المكانة الكبيرة لدينا ؛ لارتباطها بمنظومة التكليف الاعتقادي - والعبادي أيضاً - ، إما بصورة مباشرة كقضية التوحيد والنبوة والمعاد ، أو غير مباشرة كتلك القضايا التي توقفنا على حقائق وأسرار العبادات ، وجملة كبيرة من الاعتقادات .

فلا نكتفي في هذه المرحلة - مثلاً - بالإيمان البسيط بوجود الله سبحانه وتعالى كما هو الأمر في حال طفولتنا ، بل ونحاول تأكيده باليقين .. فنقوم بطرح الأسئلة .

ولم يعد ينفع أو يفيد - في هذه المرحلة - زجر أبويننا لنا لأداء الصلاة مثلاً ؛ لأننا كبرنا على هذا النوع من الإرشاد ، وعقولنا أخذت نخبرنا بتجاوز هذه المرحلة ، والانتقال إلى مرحلة ربط فهم حقيقة هذه التكاليف ومعانيها بأمر أدائها ، أو مرحلة تفعيل جزئية خاصة فيها ؛ كالخشوع في الصلاة مثلاً .. فنقوم بطرح الأسئلة أيضاً .

وحينما نطرح هذا النوع من التساؤلات فغالباً ما نتكئ على آلة العقل ، خصوصاً في بدايات ولادة تفكيرنا الممنهج ، فنصدم عادة مع الآخرين في الإجابة عليها ؛ وذلك لاختلاف ألوان وأشكال قابليات العقول ، ومع الدين أيضاً ؛ لأنه يقدم الإجابة من خلال استخدام آلة

أخرى ، أو دليل آخر غير الدليل العقلي المحض (الدليل الفلسفي) ،
 ألا وهو دليل الحكمة الذي به يعرف الله سبحانه وتعالى ، ويوقف من
 استخدمه على حقائق الأشياء على ما هي ؛ لأن هذا النوع من
 الحقائق لا يمكن إدراكه إلا بهذا الدليل لا بغيره^(١).

وطالما جاء الجزء الكبير من صراع القراءات الدينية في جانب
 الكشف عن حقائق المعارف الإلهية في نوع الدليل المستخدم لذلك ..
 هذا وقد تميزت مدرسة الشيخ الأوحـد الأحـسائي قـدسـه عن غيرها في
 استخدامها لهذا الدليل ؛ فإنه قـدسـه لم يستخدم في قراءته الدينية إلا
 دليل الحكمة المستند على الكتاب والسنة ، مما جعل نتائجه الحكيمة
 تغوص عميقاً في محيط أسرار منطقة الغيب ، وتحوز على نطاق واسع
 فيه ؛ لدرجة أن يكون للواحدة من نتائجه عدة مصاديق ، وهذا دليل
 على مدى الانطباق والموافقة بينها وبين الدليل والمستند.

ولأجل هذا .. ارتأيت تقديم بعض تلك النتائج التي ضمت
 قواعد وأفكار وآراء مدرسته ؛ لتعين من أراد استكشاف حقائق هذه
 المنطقة. غير أن كثرة المصطلحات الحكيمة ، ودقة المطالب التي تستلزم

(١) سوف تأتي بعض الإشرافات التي تتحدث عن هذا الدليل وأقسامه لاحقاً.

البسط لنيل ما فيها ، وخشونة الأسلوب الحكمي الذي لا تستوطنه بعض الأذهان ، وغير ذلك ؛ وقفت كالعوائق أمام تحقيق هذه المهمة التي جاء نظرها الأول إلى مقام العوام.

ولتجاوز ذلك .. قمت بسبكها في مصاديق تتلاطم وتتلاحم مع واقع الكثير من التساؤلات الإلهية المطروحة في مجال الرؤية الكونية اليوم ؛ بل واستخدمت عبارة "هل تعلم" في عناوينها عمداً لإذابة الجمود تارة ، وإثارة النفس تارة أخرى.

ولما لم يكن لهذه القواعد والأفكار والآراء عنوان جامع بالمعنى الفني ، وضعت كلمة "الإشراقة" لاتحاد جميعها في الغاية النهائية ، وهي الكشف عن الحقائق الإلهية ، وظهور أنوارها في فؤاد العارف بها.. من هنا لم أجعل لها تبويباً أو ترتيباً معيناً تدرج تحته.

وأخيراً.. أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي سماحة الشيخ عبد المنعم العمران الأحسائي الذي قام بمراجعة المسودات الأولى لهذا الكتاب ، ولم ييخل - كعادته - بتقويم ما احتاج منها إلى ذلك ؛ فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل مرضياً لكلينا عند إمامنا عليه السلام.

مختصر سيرة
الشيخ الأوحـد الأحسائي

لقد اقتطفت أساسات إشراقات هذا الكتاب من منهج مدرسة عالم من علماء الشيعة الإمامية، ألا وهو:

الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ آل صقر، القرشي الأحسائي المطيرفي^(١).

وقد وُلِدَ قَدَسُ فِي قرية المطيرفي من قرى الأحساء، في شهر رجب عام (١١٦٦هـ)، وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده. وختم القرآن الكريم وعمره خمس سنين، وبدأ بدراسة النحو قبل أن يبلغ الحلم عند الشيخ محمد بن الشيخ محسن القرين.

وفي سنة (١١٨٦هـ) هاجر إلى العراق، وتنقل بين النجف وكربلاء^(٢)، ونال العديد من الإجازات من أعظم العلماء آنذاك، ومنهم: السيد محمد مهدي الطباطبائي قَدَسُ، وتاريخ إجازته

(١) سيرة الشيخ الأوحد الأحسائي: ص ٩.

(٢) الشيخية - الطالقاني: ص ٣٥.

عام (١٢٠٩هـ)^(١)، الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي قدس،
وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٢)، السيد علي الطباطبائي قدس،
صاحب (كتاب الرياض)، لم يرد تاريخ لإجازته، السيد ميرزا
مهدي الشهرستاني قدس، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٣)،
الشيخ حسين آل عصفور البحراني قدس، وتاريخ إجازته عام
(١٢١٤هـ)^(٤)، الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني
قدس، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٥هـ)^(٥).

وقد طبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف الأشرف عام
(١٣٩٠هـ) بشرح وتعليق الدكتور حسين علي محفوظ^(٦).

ننقل ما جاء في إحدى هذه الإجازات، قال السيد محمد مهدي
الطباطبائي قدس - في إجازته له -: (... وكان ممن أخذ بالخط الوافر
الأسنى، وفاز بالنصيب المتكاثر الأهنى، زبدة العلماء العاملين،

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٢٥٥.
(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٦٥.
(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٥٣.
(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٨٨.
(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٤١.
(٦) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين علي محفوظ: ص ٥.

ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأمجد، الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي - زيد فضله ومجده، وعلا في طلب العلا جده .. وقد التمس منّي أيده الله تعالى الإجازة في رواية الأخبار، الواردة عن الأئمة الأطهار - عليهم سلام الله آناء الليل والنهار - عني وعن مشائخي الأعظم الأجلة، ووسائطي إلى رؤساء المذهب والملة، فسارعت إلى إجابته، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته، لما ظهر لي من ورعه وتقواه، وفضله ونبله وعلاه، فأجزت له وفقه الله لسعادة الدارين وحباه بكل ما تقر به العين، رواية الكتب...^(١).

تصدر قَدَسُ للتدريس في المعقول والمنقول سنيناً طويلاً، في كربلاء والنجف والبصرة، وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوین وطهران وكرمانشاه، وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين، وغيرها من مدن الخليج.

وتخرج على يديه العديد من العلماء وأهل الفضل في تلك الفترة، وكان من أهم تلامذته: السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي قَدَسُ وهو من أوائل تلامذته المتوفى عام (١٢٥٩هـ)، الميرزا حسن

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ: ص ٢٩.

بن علي قدس الشهير بـ (كوهـر) المتوفى عام (١٢٦٦هـ)، الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي قدس، المعروف بـ (حجة الإسلام) المتوفى عام (١٢٦٩هـ)، الشيخ الملاهادي بن المهدي السبزوري قدس صاحب كتاب (المنظومة) المتوفى عام (١٢٨٩هـ)، الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس المتوفى عام (١٢٤٦هـ)، الشيخ محمد تقى بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس؛ وغيرهم الكثير من العلماء والفضلاء - قدس الله أسرارهم -.

توفي قدس في يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة عام (١٢٤١هـ)، في منطقة تسمى (هدية) بين المدينة المنورة ومكة المكرمة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه قبور أئمة البقيع عليهم السلام (١).

وخلف قدس ثروة كبيرة من المصنفات والمؤلفات في شتى العلوم، ومن أهمها وأوضحها لفكره: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، شرح العرشية، شرح الشاعر لصدر الدين الشيرازي، وفوائد الحكمة وشرحها.

(١) الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الأحقائي: ج ١ ص ١١٠.

الإشراق الأولى

هل تعلم..

ما الفرق بين الدين والقراءة الدينية؟

يتبوأ الدين الدور الكبير في حياة الإنسان ، فهو لا ينحصر بقضية الإيمان بالخالق فحسب ؛ بل ويوفر له إطاراً لفهم العوالم المادية والروحية ، وكيف يعيش في هذا الحياة بمثابة وبتناغم مع باقي المخلوقات الأخرى ، وغير ذلك.

وعلى مدار السنين حاول علماء الأديان الإجابة عن هذا السؤال : ما هو الدين ؟

فاتخذوا لتعريفه طرائق وأساليب عديدة ، جميعها تنتهي إلى أنه : مجموعة من المعتقدات التي تدور حول الموضوعات المقدسة.

فالدين الإسلامي : هو مجموعة المعتقدات والأحكام والتعاليم الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة ، ويطلق عليها بالحقيقة الدينية . فالحقيقة الدينية شيء مقدس ، غير خاضع لميزان الصحة والخطأ.

أما القراءة الدينية ، أو قراءة النص الديني ، أو ما يطلق عليه اليوم بمصطلح الهرمنيوطيقا : فهي قراءة غير المقدس للمقدس ، أو هي عملية الوصول إلى الفهم الكامل للنص الديني .

بمعنى آخر.. تمثل قراءة العلماء للدين ، أو مجموعة أفكارهم وأرائهم حول الحقيقة الدينية. ولا شك أن القراءة الدينية غير مقدسة لأنها قابلة للصحة وللخطأ - في حال لم تقيد بالقيود الشرعية ..

وللأسف ، يقع الكثير منا في دوامة الخلط بين الدين والقراءة الدينية ، وبين أدوار كليهما ، فينزل الحقيقة الدينية عن رتبها ، ويرفع القراءة الدينية إلى رتبة الدين ؛ أي : يخلع وشاح القداسة من الدين ، ويلبسه القراءة الدينية عن جهل كان أو عن عمد !

وأبسط مثال على ذلك : ما نراه اليوم في سجلات القضايا ، فلا يرضى أو لا يقنع الكثير بجهة الإثبات والاستدلال القائمة على أساس الآية أو الرواية ، بينما الجهة المنطوية على رأي أو فكرة العالم الفلاني المتشخصة على أساس الوضع والذوق البشري تعد من المقبولات ، ولو بأبسط الاعتبارات وأدونها.. فيكفي أن يقال : قال العالم الفلاني ليكون ذلك فيصلاً قاطعاً بين إثبات الأمر ونفيه !

والأدهى من ذلك ، أن قضية رفع القراءة الدينية إلى رتبة القداسة المحضة لم تعد محصورة على تلك القراءات النابعة من صميم الإسلام فحسب ، فقراءات النصوص الدينية الحاصلة من بعض المستشرقين -

أياً كانت دياناتهم أو توجهاتهم الفكرية - باتت مقبولة أيضاً عند الكثيرين من دون أدنى تحصيل لما يكمن وراءها من الدوافع والمقاصد. مع أن الخلاف المبني أقل ما يمكن أن يؤخذ لإزاحة هذا النوع من القراءات عن رتبة القداسة ؛ أي : إن هذا الملحد أو هذا المسيحي - مثلاً - وإن اجتهد وقام بقراءة نصنا الديني ؛ إلا أنه استخدم مبانيه ومنطلقاته الفكرية ، لا مبانينا ومنطلقاتنا ، وبالتالي لا يمكن تحميل قراءته أكثر من كونها نظرة استشراقية ، لا قراءة دينية إسلامية خالصة يمكن أن اعتبارها من ضمن القراءات في إطار أبجديتنا.

وكيفما كان ، فهناك فرق كبير بين إعطاء القراءة الدينية رتبة القداسة ، وبين إعطائها رتبة الاعتبار ، فالأول مواساتها بالدين ، أو جعلها أعلى منه بحيث يكون تابعاً لها ، إما الثاني فجعلها تابعة للدين ؛ لأنه المصدر والمستند الذي يقوم عليه اعتبارها.

فأرى أو فكرة العالم الفلاني تأخذ اعتبارها فقط إذا كانت تابعة وموافقة للدين ، أما إذا كان أساسها مبنياً على غيره ؛ كالفلسفة أو التصوف مثلاً ، أو جاءت فيها محاولة جعل الدين تابعاً لها كما يطلق عليه بفلسفة الدين ، أو بتأويل الدين ؛ فهي غير معتبرة قطعاً.. ومثلها

أيضاً تلك القراءات الدينية المبنية على الأذواق الشخصية ولا مستند لها من الدين منه صدرت وإليه تعود.

ومن ذلك يتضح ، أن ميزان اعتبار القراءة الدينية ليس بالكثرة ؛ بل بتابعيتها وموافقتها للدين . فلو كان هناك - مثلاً - مليار قراءة دينية لآية من الآيات ، وهي في حد ذاتها غير تابعة ولا موافقة للدين ، وقراءة واحدة تحقق فيها ذلك ، فيأخذ بالواحدة ويترك ما عداها .

ثم إن اعتبار القراءة الدينية قد يصل إلى درجة عدم الخطأ إذا تحقق فيها قيد التبعية والموافقية للدين جملة وتفصيلاً ، ولم يكن للقراءة أي حال غير التعبير اللساني أو الكتبي لأحد مصاديق الحقيقة الدينية ؛ فهنا يمكن أن يقول صاحب القراءة الدينية : (لا يتطرق على كلماتي الخطأ) ، لا من حيث عصمة ذاته ، بل من حيث تابعة ما قال أو كتب لمن لا يخطئ وهو الحقيقة الدينية ؛ لأنها - القرآن أو كلماتهم ﷺ - وحي سماوي غير قابل للخطأ أو الغفلة أو الزلل ؛ ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : «يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منّا»^(١) .^(٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٧٤ ص ٤١٢ ب ١٥ / مواظ أمير المؤمنين عليه السلام .. ح ٣٨ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ١ ص ١٩٢ .

الإشراق الثانية

هل تعلم..

متى يكون الاختلاف معتبراً بين القراءات
الدينية ومتى لا يكون؟

إن اختلاف القراءات الدينية بين العلماء حقيقة يشهد لها الواقع ؛
فلو جئنا - مثلاً - إلى جانب تفسير القرآن ، وأردنا الوصول إلى معنى
آية من الآيات في كتب التفسير الموجودة بين أيدينا ، فسوف نجد - في
بعض الأحيان - أن هناك مفسراً يقدم معنى للآية ، ومفسراً آخر يقدم
معنى مختلفاً لها عن ذلك .

وهكذا أيضاً لو جئنا إلى دائرة إلى الأحكام الشرعية ، فمع غض
النظر عن اختلاف المباني الأصولية والفقهية ، فإن عملية الوقوف
على حكم واقعة يختلف فيها اثنان من العلماء ليس بالشيء المتعذر أو
النادر .

وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى قضايا المعارف الإلهية الاعتقادية ،
التي يكاد يكون اختلاف القراءات الدينية في جانبها هو الأكثر
وضوحاً في ظهوره .

والسؤال الهام هنا هو :

هل هذا الاختلاف من باب مقولة: "الاختلاف لا يفسد في الود قضية"، أو مقولة: "عبارتنا شتى وحسنك واحد"؟

الجواب: إن اختلاف القراءات الدينية تارة:

١- لا يكون معتبراً

كما في حالة:

أ- إذا كان الاختلاف في درجة فهم النص الديني

فقد يكون للحقيقة الدينية الواحدة قراءة ظاهرية، ولها قراءة أخرى أعمق من تلك، وقراءة ثالثة أعمق منهما.. والسبب في ذلك يعود إلى قابلية العلماء، فإنها ليست على سجية واحدة.

ومثال ذلك: المصباح الواحد، قد ينظر إليه مجموعة من الأشخاص في وقت واحد، فيقول الأول: درجة البياض فيه ١٠٠٪، والثاني يقول: ٩٠٪، والثالث يقول: ٨٠٪، وهكذا، فالكل يتفق على حقيقة بياض المصباح؛ ولكن يختلفون في درجة البياض.

فجوهر الحقيقة الدينية في هذه الحالة واحدة، والاختلاف في درجة القراءة بسبب اختلاف قابلية القارئ لا غير.

ب - إذا كان الاختلاف في المذاق أو الأسلوب

تخيل لو أن الإمام الحجة عليه السلام ظهر بعد غيبته الكبرى وجلس أمامنا الآن.. فأحضرنا رساماً وشاعراً وكاتباً، وقلنا لهم: صفوا لنا الإمام عليه السلام؛ فرسم الرسام لوحة، وكتب الشاعر قصيدة، وكتب الكاتب نصاً بلاغياً.

وحينما نظرنا إلى وصفهم وجدنا - مثلاً - أنهم وصفوا بشرته عليه السلام بالبياض، أو وصفوا قامته بالطول، فجميعهم في هذه الحالة اتفقوا في الحقيقة الواحدة؛ ولكن اختلفوا في مذاق أو أسلوب وصفهم لها، فالأول وصف بياض البشرة باللون الأبيض في الرسم، والثاني بيّس في الشعر كأن قال بأن لونه كالثلج، والثالث بنص تشبيهي كتشبيهه بالقمر مثلاً.

وكذلك هي القراءات الدينية للعلماء في هذه الحالة.. فإن هناك من يفسر ويشرح ويظهر الحقيقة الدينية بالأسلوب الكلامي، وآخر بالأسلوب العرفاني، وثالث بالأسلوب الفقهي، ورابع بالأسلوب الأخلاقي.. فلا يوجد هنا - أيضاً - اختلاف في الحقيقة الدينية؛ بل في الأسلوب والمذاق فقط.

٢- وتارة أخرى يكون الاختلاف معتبراً

وهو الاختلاف في جوهر الحقيقة الدينية بأي جهة كانت.. كما لو جاءت قراءة تقول: بأن الوجود بين الخالق والمخلوق واحد (النظرية الواحدية في الوجود)، وأخرى تقول: بأن وجوده عز وجل يختلف عن وجودنا (النظرية الاثنينية في الوجود)، أو قراءة تقول: بأن دم الإمام المعصوم عليه السلام نجس، وأخرى تقول: طاهر، أو قراءة تقول: بأن الله فوض لنيبه عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام تفويضاً عاماً على جميع خلقه، بإذنه ومدده لا بالاستقلال عنه أنا من الآنات، وأخرى تقول: بأنه لم يفوض لهم ذلك.. إلخ.

فالاختلاف هنا في جوهر الحقيقة الدينية؛ وليس في درجتها أو في المذاق أو الأسلوب.

والحاصل أن تلك المقولات وأمثالها، كقول أن كل العلماء ينتهون إلى محمد وآله - صلوات الله وسلامه عليهم - ليست صادقة في كل حال، بل تصدق فقط في حال عدم كون الاختلاف بينها معتبراً، أما إذا كان معتبراً فلا وجه لصدقها^(١).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٧، ١٨٨.

الإشراقية الثالثة

هل تعلم..

أن الفلسفة اليونانية أخذت من الأنبياء عليهم السلام
ولكنها حرفت ووقع الخطأ الكثير في تعريبها؟

يعود أصل الفلسفة المشائية بالإسلام إلى مجموعة كبيرة من الآراء والأفكار الفلسفية لرجال عاشوا قبل ميلاد المسيح ﷺ بنحو خمسة إلى ستة قرون في مدن ومستعمرات منتشرة على طول شواطئ آسيا الصغرى، وجنوب إيطاليا.. أطلق عليها لاحقاً بالفلسفة اليونانية، وعلى رجالها بفلاسفة اليونان. نعم، أضاف فلاسفة الإسلام الشيء الكثير عليها بعد دخولها حضارتهم بطرق عدة.

وقد اختلفت الأقوال في الأصل الذي تعود إليه فلسفتهم. بمعنى آخر.. من أين جاء فلاسفة اليونان بأرائهم وأفكارهم تلك؟

فذهب قول إلى أن الأنبياء ﷺ عاشوا في زمن اليونان، ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(١)، ومنهم نبي الله إدريس عليه السلام الذي أطلقوا عليه بهرمس الهرامسة في كتبهم؛ فتعلم اليونانيون الحكمة منهم.

وذهب قول إلى أن الفلسفة اليونانية نتاج عقلي بحت لا دخل للوحي فيه؛ أي: إنهم ابتكروها من محض عقولهم.. وكل ما جاء

بعدها من أنماط للتفكير الفلسفي ؛ فهو إما منها ، أو يدور في فلكها ،
فليس هناك نتاج جديد يطفو ويعلو فوق سقف الفلسفة اليونانية^(١) .

وذهب قول ثالث إلى أنه كانت هناك فلسفات قديمة قبل الفلسفة
اليونانية ؛ كالفلسفة الهندية ، والفلسفة المصرية ، والفلسفة الفارسية ،
وقد أخذ فلاسفة اليونان تلك الفلسفات ، وقاموا بإعادة صياغتها في
قوالب التفكير العقلي الفلسفي ، ثم نسبوها إليهم^(٢) .

وكيفما كان ، إن من أهم الأسئلة التي طرحت حول الفلسفة
اليونانية ، هو الحالة الدينية لفلاسفة اليونان ؛ فهل كانوا من
الموحدين ، أم من الوثنيين؟

وهناك قولان يعود أصلهما إلى نظرية بنى عليها علماء الأديان
قضية التوحيد في جميع الحضارات القديمة ، وهي :
إما أن يكون الأصل في الإنسان الشرك ، والتوحيد شيء طارئ
عليه ، أو يكون الأصل في الإنسان التوحيد ، وما عرف الشرك إلا
لاحقاً^(٣) .

(١) قصة الفلسفة اليونانية - زكي نجيب محمود وأحمد أمين : ص ١٩ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم : ص ٩٧ .

(٣) الدين - د. محمد دراز : ص ١٠٧ - ١٠٨ . نقلاً عن Schmidt ouy. Cite, p.٣٠٠ .

وعلى ضوء هذه النظرية جاءت القراءات في النظرة التوحيدية
لفلاسفة اليونان :

فمنهم (القول الأول): من قال بأنهم عاشوا رداً طويلاً من
الزمن على الخرافات والأساطير، وكانت الوثنية هي الديانة المنتشرة
في مستعمراتهم، ثم جاءت المدرسة الطبيعية التي يعد طاليس من
أشهر روادها، وبعدها المدرسة الفيثاغورية ذات النحلة الغنوصية
المنسوبة إلى فيثاغورس.. وهكذا توالى مدارسها إلى أن جاء سقراط
فبدأ بتأسيس المعرفة الفكرية - ومنها التوحيدية - المبنية على العقل،
وأكمل مسيرته تلميذه أفلاطون، وعلى يد أرسطو طاليس - تلميذ
أفلاطون - اكتمل عملهما؛ إذ قام بوضع أسس المعرفة الفلسفية.

فهذه القراءة مبنية على الجهة الأولى لتلك النظرية؛ أي: إن إنهم
كانوا من الوثنيين أو المشركين، وما عرفوا التوحيد إلا بعد اتضاح
الرؤية الكونية بسطوع نجم المعرفة الفلسفية على يد كبار فلاسفتها.

ومنهم (القول الثاني): من قال بأنهم كانوا من الموحدين..
وهؤلاء انقسموا إلى قسمين :

القسم الأول: قالوا: بأن فلاسفة اليونان كانوا من الموحيدين وأخذوا فلسفتهم من الأنبياء ﷺ، وما انتقل إلينا منها فهو صحيح جملة؛ كالملا صدرا الشيرازي الذي أسهب في تبجيلهم ومدحهم^(١).

القسم الثاني: قالوا - وهو الحق -: بأن فلاسفة اليونان كانوا من الموحيدين وأخذوا فلسفتهم من الأنبياء ﷺ؛ ولكن ما انتقل إلينا منهم ليس كله صحيحاً، بل الخطأ فيه أكثر؛ لوقوع التحريف والغلط، إما من ناحية أن فلاسفة اليونان لما أخذوا الحكمة من الأنبياء ﷺ أضافوا وفرعوا عليها من عندياتهم، أو من ناحية أن الفلسفة اليونانية لما انتقلت من بلاد اليونان إلى بلاد الروم اختلطت بالفلسفة المسيحية المحدثه، وكانت مكتوبة آنذاك باللغة السريانية القديمة، فوقع الغلط أثناء تعريبها إلى اللغة العربية على يد السريان وغيرهم من المعربين العرب، ومن القائلين بهذا الشيخ الأوحـد الأحسائي، ويوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية^(٢).^(٣)

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة - الملا صدرا الشيرازي: ج ٥ ص ٢٠٦-٢٠٧. وج ٩ ص ١٠٩.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٣) رسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "تراث الشيخ الأوحـد الأحسائي" - الشيخ الأوحـد

الأحسائي: ج ١ ص ٣٦١-٣٦٣.

الإشراق الرابعة

هل تعلم..

أن تراث الفكر الشيعي تلوث بالتصوف؟

إن وجود أفكار التصوف بين ثنانيا تراث الفكر الشيعي بصورة
ظاهرة أو مندسة أمرٌ لا يختلف عليه اثنان ؛ فيكفي أن يكون هناك
مدارس إسلامية منسوبة إلى التشيع قام الأساس فيها على نظريات
صوفية بحتة - كنظرية وحدة الوجود - ، وكذلك قراءات دينية استمدت
منه - وما زالت - لتأثرها بأفكار أساطينه ؛ كدليل قاطع على أن
التصوف وجد طريقاً ليتوغل وينبت ويفسد أجزاءً من منظومة الفكر
الشيعي ؛ كبعض الاعتقادات ، والتعاليم العبادية ، وغيرهما .. وهذا
ما تنبأ به النبي الأعظم محمد ﷺ في قوله : « لا تقوم الساعة على
أمّتي ، حتى يخرج قوم من أمّتي اسمهم صوفية ، ليسوا مني وإنهم
يهود أمّتي .. يظنون أنهم على طريق الأبرار ؛ بل هم أضل من
الكفار . وهم أهل النار ، لهم شهقة كشهقة الحمار ، وقولهم قول
الأبرار ، وعملهم عمل الفجار ، وهم منازعون للعلماء ليس لهم
إيمان ، وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب »^(١) .

(١) الاثنا عشرية - الحر العاملي : ب ٢ / في إبطال التصوف وذمه : ص ٣٤ ح ٧ .

ولا يسعنا الآن البحث الدقيق عن مفهوم التصوف الذي تعدد وتنوع بسبب ظروف الزمان والمكان ؛ ولكن من الثابت أنه نوع من أنواع المعرفة الشهودية الباطلة والكاذبة التي حذر منها أهل البيت عليهم السلام ؛ لا لأن طرقها وتعاليمها لا تمت إلى الإسلام بصلة فحسب ، بل ولأن لأصحابها الذين يتلونون بألوان الدين والزهد غايات نفسانية شيطانية من ورائه ؛ كطلب الرئاسة المعنوية لهدم الدين وإضلال الناس عن طريقهم عليهم السلام ، فقد قال الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام : « والصوفية كلهم مخالفونا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »^(١) ؛ ولهذا تصدى عليهم السلام لهم ، وحذروا منهم ومن أتباعهم .

ولكن .. كيف نشأ في الإسلام ؟

وكيف دخل إلى منظومة الفكر الشيعي ؟

الجواب : في الحقيقة إن بذرة التصوف الأولى كان لها ظهور وتجلٍ قبل الإسلام بقرون عديدة ، وأبعد ما تذكره المصادر التاريخية

(١) حديقة الشيعة - الأردبيلي : ج ٢ ص ٧٩٩ .

في مسألة نشأة التصوف يعود إلى نحو (١٥٠٠ عام) قبل الميلاد عند طائفة تسمى بالمغان الذين استوطنوا ما يسمى اليوم بأرض إيران، وتميزوا بالإضافة إلى التنجيم والسحر والكهانة والمعالجات الماورائية، باتخاذهم التصوف منهجاً لهم؛ ولأجل هذا اتخذهم ملوك الفارسيين والميديين كهنة لهم في بلاطهم^(١).. وأطلق عليهم لاحقاً اسم الحكماء الخسراونيون أو الفهلويون^(٢).

ومن هؤلاء انتقل التصوف فيما بعد إلى بلاد اليونان، ثم إلى بلاد الروم.. حتى وصلت إلى المدرسة الإسكندرية التي حمل جميع ما فيها من كتب بطابعها الفلسفي والصوفي إلى ساحة الإسلام من خلال عدة طرق، من أهمها تشجيع حكام الجور والضلال الاستلham من الموروثات الخارجية لأجل مغالبة علم محمد وآله ﷺ.

فقد جاءت محاولة الحكام الأمويين في ذلك بقيام خالد بن يزيد بن معاوية بترجمة الكتب الفلسفية والصوفية، وبثها في الأمصار من دون رقابة عليها، وجاءت محاولة الحكام العباسيين كذلك، كطلب

(١) تاريخ الميديين - دياكونوف: ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخميني: ص ٥٥.

المأمون من بعض ملوك النصارى خزانة كتبهم الفلسفية والصوفية، وكدعمهم لأتباعهما، ومساعدتهم على نشر أفكارهم لتكوين قاعدة فكرية لهم في مقابل قاعدة أهل البيت عليهم السلام الفكرية^(١).

وكيفما كان الأمر، فإن التصوف الإسلامي كان في بادئ الأمر متلبساً بصورة الزهد الخالي من أي طابع فلسفي، فلم تكن للصوفية إلا مجرد أقوال تم ممارستها كسلوك عملي على يد كبارهم كالحسن البصري، وسفيان الثوري، ثم تجلت مظاهره في أتباعهم كالجنيد ورابعة العدوية، وغيرهم.

وفي زمان ابن عربي بلغ التصوف ذروته، إذ قام بكتابة قواعده وفقاً لمذاقاته وكشوفاته؛ فعد المؤسس الأول للتصوف النظري. وتأثر بعض علماء الشيعة بنظرياته الكشفية لعدة أمور، منها البعد عن رواياتهم عليهم السلام، انتشار المخالفين وكتبهم ومجالستهم إياهم والأخذ منهم، وغير ذلك؛ وعلى إثر ذلك دخل التصوف في تراث الفكر الشيعي، وتلوّث الأفكار التي استعانت به في قراءتها للدين^(٢).

(١) أبواب الهدى - الميرزا مهدي الأصفهانى : ص ٤٣.

(٢) الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي : ص ٥١-٥٣.

الإشراقة الخامسة

هل تعلم..

ما هو العرفان؟

كثيراً ما نسمع بكلمة العرفان ، وبأصحابها العرفاء ، وحتماً أن المقصود منها هو المعرفة ، فإن أصل كلمة المعرفة والعرفان في اللغة واحد وهو "عرف" ، ومعناها واحد وهو العلم^(١) .

ولكن .. ألم تتساءل يوماً عن أي معرفة يتحدث هؤلاء ؟
الجواب : لقرون طويلة انشغلت البشرية بالوصول إلى معرفة حقائق الأشياء ؛ لدوافع كثيرة منها الفضول البشري ، الكمال ، القدرة على تسخير الأشياء لمصالحها وحاجاتها ، وغير ذلك .
وقد انبرى جزء منهم ناحية الوجود الطبيعي للأشياء ، فاستخدموا التجربة والملاحظة التي تعتمد على الحواس كطريق للوصول إلى المعرفة ؛ فأطلق عليهم بالتجريبيين أو الماديين ، وعلى معرفتهم بالمعرفة التجريبية أو المعرفة المادية لأن نطاق حدودها محدود بالمادة فقط . فمثلاً : إذا أراد هؤلاء الوصول إلى حقيقة الإنسان ، قاموا بتشريح جسده في مختبراتهم ، وإذا أرادوا فهم حقيقة سلوك

(١) معجم مقاييس اللغة. ابن فارس : ج ٤ ص ٢٨١ ، مادة (عرف) .

معين فيه أحضروا مجموعة من الناس وأقاموا التجارب على نمطية ذلك السلوك لديهم.. وهكذا في الوصول إلى حقيقة ما سواه من المخلوقات كالحیوان والنبات وغيرهما ؛ فنتائج التجربة هي الأساس الذي يتم عليه بناء المعرفة عندهم.

وجزاء آخر قالوا: إن الوصول إلى حقائق الأشياء ليس من خلال التجربة ؛ بل من خلال العقل ، فاستخدموا التفكير العقلي ، وتوابعه كالقياس المنطقي والاستقراء كطريق للوصول إلى المعرفة ، وأطلق عليهم بالعقلين أو الفلاسفة ، وعلى معرفتهم بالمعرفة العقلية أو المعرفة الفلسفية. فمثلاً: إذا أراد هؤلاء الوصول إلى حقيقة العالم ، أقاموا قياساً مكوناً من مقدمتين (كبرى وصغرى): العالم متغير، وكل متغير حادث، فالنتيجة: العالم حادث، وإذا أرادوا الوصول إلى حقيقة حياة الإنسان: كل إنسان فانٍ، زيد إنسان، فالنتيجة: زيد فانٍ.

وجزاء آخر قالوا: إن الوصول إلى حقائق الأشياء ليس من خلال التجربة أو العقل ، بل من خلال الذوق أو الشهود القلبي ؛ لأن حقائق الأشياء تكمن في بواطنها لا في ظواهرها وقشورها، وأطلق

عليهم - بصورة عامة - بالعرفاء ، وعلى معرفتهم بعدة أسماء كالمعرفة الذوقية ، والمعرفة الشهودية ، والمعرفة العرفانية .

وهؤلاء انقسموا إلى قسمين :

الأول : أصحاب العرفان المذموم

وهؤلاء منهم من جعل العرفان العملي فقط الأساس الذي تبنى عليه المعرفة الذوقية ؛ لأن المعرفة لديهم لا تتحقق عن طريق الحس أو العقل أو النقل ، وللوصول إلى غاياتهم اتخذوا طرق عملية باطلة لم يرد ذكرها في الشرع ؛ كالرياضات الروحية الشاقة ، وترديد الذكر والأوراد بطرائق جفرية . ومنهم من جعل العرفان النظري داخلاً في الأساس الذي تبنى عليه المعرفة الذوقية ، ومستنده الفلسفة (العقل) والنتائج الصوفية^(١) .

وعلى نتائج العرفان العملي (الشهود) - عند كليهما - يتم بناء العرفان النظري لديهم ؛ فمثلاً : إذا جرد السالك نفسه بطرقهم ، ورأى أنه ليس كمثلها شيء ، قال : إنها هي الله ، وعلى هذه النتيجة العملية تبنى النظريات الصوفية ، كوحدة الوجود ، والحلول

(١) مفاتيح الأسرار - الشيخ حسن زاده آملي : ج ٢ ص ٦ .

والاتحاد، وغيرها. وقد التصق مفهوم التصوف على معرفة هؤلاء، ومفهوم الصوفية على أتباعه.

الثاني: أصحاب العرفان المحمود

وهم الذين جعلوا العرفان العملي والنظري يسيران بشكل متوازٍ كأساس لبناء المعرفة الذوقية، واتخذوا فيهما الطرق الشرعية فقط، سواء من ناحية الرياضات الروحية أو النظريات المعرفية.

وعلى نتائج العرفان العملي والعلمي يتم بناء المعرفة عندهم؛ ولكن هؤلاء يرون أن العارف إذا جرد نفسه، ورأى أنه ليس كمثلهما شيء، قال: إنها آية الله، وعلامة معرفته، لا أنها هي الله؛ لأن ضابطة العرفان النظري هي الميزان الذي توزن به تلك النتيجة، من حيث قول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، ومن حيث قول الإمام الباقر عليه السلام: «كَلَّمَا مِيزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ مُصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ مُرَدُّودٌ إِلَيْكُمْ»^(٢). وقد التصق مفهوم العرفان والحكمة على معرفة هؤلاء، ومفهوم العرفاء والحكماء على أتباعه^(٣).

(١) سورة الشورى: (١١).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٦ ب ٣٧ / صفات خيار العباد وأولياء الله ... ص ٢٩٣ ح ٢٣.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥ وص ٢٣٠-٢٣١. الرسالة الرشدية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٩ ص ٥٢-٥٣.

الإشراق السادسة

هل تعلم..

ما هو الكشف أو المكاشفة عند العرفاء؟

إن الوصول إلى مقام القرب الإلهي هو غاية الغايات عند العرفاء ، وما يلحق بذلك كمعرفة حقائق الأشياء ؛ فإما أنه مما يقع في طريق السلوك ، أو هو أثرٌ ناتج من وصوله إلى ذلك المقام ؛ لأن السالك إذا بلغ مقام القرب الإلهي أعاره الله سبحانه وتعالى عيناً (عين البصيرة) ليعرفه بها ، ويعرف الأشياء على ما تبدو عليه في حقيقتها. وحتى يصل إلى مقام القرب الإلهي ، أو محيط مشاهدة بواطن الأشياء - كل بحسب ما تطمح إليه غاية نفسه - ؛ فعليه أن يصفي نفسه من عوالمها النفسانية ، وروابطها المادية ، ولا يكون ذلك إلا بتجريد النفس .

وبغض النظر الآن عن كيفية وطرق تجريد النفس ؛ فإن السالك إذا وصل إلى غايته ، وأظهر ما أودع في نفسه من حق أو باطل ، أو أظهر ما في غيب الحقائق التي هي أعيان الموجودات على ما هي عليه ، أو أظهر ما خفي من الأسرار ، أو غير ذلك ، فإن هذا الإظهار يسمى بالكشف ، والحالة التي وصل إليها تسمى بالمكاشفة .

ومفهوم الكشف - من جهة الكشف عن الحقيقة لا من جهة السير - قد يتعلق بالجانب النظري ، فيقال لمن تدبر ونظر في القرآن الكريم مثلاً ، وانفتح له بنسبة إقباله وإخلاصه ، أو ظهر له بعض ما في آياته من الأسرار الخفية ، أنه كشف عن مكنون ومخزون الآية ، أو أحاط بالحقيقة المستورة خلف ظاهرها (كشف نظري).

وقد يتعلق بالجانب العملي ، فيقال لمن تدبر في الآيات الآفاقية والأنفسية ، وفتح العين البرزخية الواقعة بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة - لأن عالم الملك ينقسم إلى قسمين : عالم كثيف وهو العالم المادي الطبيعي المحسوس الذي نراه ، ونتلمس ما فيه من الأشياء بجواسنا ، وعالم لطيف : وهو العالم الذي توجد فيه حقائق الأشياء على ما تبدو عليه في أصل وجودها - ؛ أنه شاهد ما هناك وأظهره ، أو كشف عن حقيقة الشيء عياناً (كشف عملي).

ولما كان مفهوم الكشف أو حالته مشتركاً بين العرفان المحمود والعرفان المذموم وقع الخلط بينهما ، إذ يعتقد بأنه شيء واحد فيهما ، وهذا غير صحيح إطلاقاً ؛ لأنهما وإن اشتركا في المفهوم إلا أن مصداق الكشف بينهما يختلف ، والمرادات كذلك تختلف ، فمثلاً :

١- في العرفان المحمود يعتبر الكشف أداة ووسيلة وليست مصدراً، فالكشف الحاصل يخضع إلى مستنده ومصدره وهو الكتاب والسنة؛ فلا اعتبار لدى العارف بهذا الكشف من دونهما.

أما في العرفان المذموم (التصوف) فيعتبر الكشف مصدراً يبنى عليه، فإن طابقت نتائج الكتاب والسنة كان بها، وإن لم تطابق تم تأويلهما بحسب ما يتوافق مع الكشف؛ أي: جعلهما تابعين له لا متبوعين، وإن لم يحصل هذا أو ذاك، أخذ بمصدرية الكشف فقط.

٢- قد يقع الكشف أو المكاشفة من جانب العرفان المحمود والعرفان المذموم متى ما توفر المقتضي.

فمثلاً: لو واقع رجل امرأة بالحلال فستنجب له ابناً بالحلال، ولو واقع امرأة بالحرام ستنجب له ابن زنا؛ فالجماع اقتضى الإنجاب؛ ولكن الطريقة والنتيجة هي التي ترتب عليها الأثر؛ فالحلال أنتج ابناً بالحلال، والحرام أنتج ابناً بالحرام.

وكذلك هو الأمر في الفرق بين الكشف في العرفان المحمود والمذموم. فنعم، إن كليهما سينكشف له؛ ولكن ما يحصل لصاحب السلوك المحمود بنسبة إقباله وإخلاصه من الكشف الحق حتماً هو غير

ما يحصل لصاحب السلوك المذموم من الكشف الباطل ؛ إذ إن كل واحدٍ منهما يرى ما انطوت عليه نفسه ، وما تأسست عليه مقدمات سلوكه في طريقه ، فهناك فرق كبير بين ما تم بناؤه على الشرع عن غيره.

ويتم التمييز بين الكشفين عن طريق العرض على الكتاب والسنة ، فإن وافقت أعمال سيره ما ورد فيهما فهو الصادق ، وإلا فهو من الكاذبين ، ومن حيث النتائج أيضاً ؛ لأن من سار على طريقهم ﷺ صعوداً سوف يستطيع إثبات نتائج سيره (كشفه) بهما ، ومن لم يسلك طريقهم ﷺ ؛ فلا دليل عنده بعد عوده إلا الخيالات والسطحات.

من هنا صعب على أولئك الذين اتخذوا العرفان المذموم طريقاً لسلوكهم إثبات نتائجهم (كشفهم) ؛ لأنه لا مستند لديهم من المصادر الإسلامية يعولون عليه في الاحتجاج بصدق أمر كشفهم وصحته^(١).

(١) كيفية السلوك إلى الله - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ص ٢٠. جواهر الحكم "رسالة في جواب الميرزا إبراهيم التبريزي - السيد كاظم الرشتي : ج ١٣ ص ٣٣٣. شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ١ ص ٤٢ ، ج ٣ ص ٤٥٥. ٤٥٦. شرح المشاعر - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ١ ص ٣٥.

الإشراق السابعة

هل تعلم..

ما دليل الحكمة الإلهية؟

أخذت الفلسفة مكانة كبيرة في قضية الوصول إلى المعارف أو الاستدلال عليها، وقد قنن أهلها لذلك آلة - وهي المنطق - لها قواعد مخصوصة لا بُدَّ من اتباعها حين القيام بأي استدلال يهدف للوصول إلى نتيجة صحيحة أو سليمة - على حد قولهم -.

ولم يقتصر استخدام آلتهم هذه على مجال دون آخر، بل إنها اقتحمت تقريباً جميع المجالات، وخصصت لبعضها كمجال قضايا المعارف الإلهية؛ وبالتالي فإن أي نتجية معرفية لقضية إلهية لا يستخدم في برهانها آلتهم لا يمكن الاعتداد بها أو اعتبارها عندهم. ولكن.. إذا كانت هذه الآلة تعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ - كما يقولون في شأن حدها -؛ فلماذا لم يستخدمها أهل البيت عليهم السلام في استدلالاتهم؟

فما أكثر الاحتجاجات التي وقعت بينهم وبين غيرهم في قضايا المعارف الإلهية، وما أكثر الاستدلالات التي قاموا بها لأجل البيان وغيره؛ ولا نرى فيها برهاناً فلسفياً مبنياً على آلة المنطق، بل اقتصروا عليهم السلام على البرهان الإلهي فقط، أو ما يسمى بدليل الحكمة.

فإن الأدلة ثلاثة كما في قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

الأول : دليل الحكمة

والحكمة عرفت بأنها : العلم الإحاطي الذوقي الناشئ من
الدليل الكشفي العياني (دليل الحكمة).

بمعنى آخر .. الحكمة هي العرفان - أو العلم - الذي يوقف الإنسان
على معرفة الشيء معرئ عن كل شيء.

فالحكمة هي علم يصل إليه الإنسان من خلال استخدام دليلها
(دليل الحكمة) .. ومن مختصات دليلها أنه آلة المعارف الإلهية الحققة ؛
لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا ، وخلق هذا الكون وما فيها ،
وإذا أردنا أن نصل إلى معرفته الحققة ، أو معرفة حقائق الأشياء على ما
هي عليه في نفس الواقع ؛ فلا يمكن ذلك إلا من خلال الدليل الذي
أقامه هو للوصول إلى ذلك ، وهو الدليل الإلهي أو الدليل الحكمي ،
لا الدليل الاصطلاحي المنطقي .

وكيف يمكن الحصول على هذا الدليل ، واستخدامه في الوصول
أو الاستدلال على قضايا المعارف الإلهية ؟

(١) سورة النحل : (١٢٥) .

الجواب: يمكن ذلك من خلال تحقق مستنده وشرطه.

فأما مستنده: فهما الفؤاد والنقل. ويقصد بالفؤاد: الوجود، أو جهة اعتبار الإنسان من ربه، فإن الفؤاد هو محل المعارف الإلهية؛ وهو العين التي أعارها سبحانه وتعالى إياك لمعرفته، ومعرفة حقائق الأشياء بها. ويقصد بالنقل: الكتاب والسنة لأنهما محل استنباط هذا الدليل؛ أي: إنهما مصدره، فلن تجد هذا الدليل إلا فيهما، ولن تستطيع الاستدلال به إلا بهما.

وأما شرطه: فهو أن تنصف ربك، بمعنى أن تتبع ما بين لك من الحق، لا أن تتبع ما أنست عليه نفسك من القواعد والضوابط، وتجتهد في ذلك، وتخلص النية في العلم والعمل، حتى يفتح عليك سبحانه وتعالى باب النور والهدى فتقف بدليل الحكمة على حقائق الأشياء وأسرارها.

ومثال الاستدلال بنمط هذا الدليل - وليكن رداً على القائل: بأن الأشياء كانت كامنة في ذاته ﷺ ثم أفاضها -: إذا كان الأمر كذلك فيلزم أن تكون لذاته سبحانه وتعالى حالاً قبل الإفاضة وبعدها، ولازمهما حدوث الذات؛ لأن تغير الحالات من علامات الحدوث.

الثاني : دليل الموعظة الحسنة

وهو آلة لعلم الطريق ؛ أي : علم السلوك العملي ، ولا يمكن الوصول إلى المعارف الإلهية بهذا الدليل وإنما به تحصل السلامة والنجاة . ومستنده : القلب والنقل ، وشرطه إنصاف العقل . ومثال الاستدلال بنمط هذا الدليل : إن النجاة من النار مقرونة بالاعتقاد بوجود الصانع ، فإن اعتقدت بوجوده فلا شك في نجاتك من عقوبته ، وإن لم تعتقد فلا تقطع بالنجاة ، بل يجوز أن يعذبك .

الثالث : دليل المجادلة بالتي هي أحسن

وهو آلة لعلم الشريعة ، ويقصد به البراهين والأقيسة ، منطقية كانت أو أصولية أو غيرها ، ولا يمكن الوصول إلى المعارف الإلهية بهذا الدليل - أيضاً - لأنه لا يوصل إلا إلى عالم الصور والقشور . ومستنده : العلم ، والنقل ، وشرطه إنصاف الخصم ؛ أي : تستخدمه كما هو مقرر في محله ؛ وإلا فهو من المجادلة بالتي هي أسوأ . ومثال الاستدلال بهذا الدليل : إذا نظرت إلى المخلوقات فإما أن تقول بأنها أوجدت نفسها أو وجدت بغير موجد لها ؛ وكلاهما محال ، فثبت إذاً أن في الوجود قديماً ليس بمخلوق ، وهو الواجب تعالى ^(١) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ١ ص ١٩٧-٢٢٦ . شرح العرشية - الشيخ الأوحى

الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥٥-٤٥٩ .

الإشراق الثامنة

هل تعلم..

ما أقسام دليل الحكمة وشروطهما؟

يطلب الكثير منا العرفان ، ويسعى بأن يكون في أعلى درجات القرب الإلهي ، فيجتهد في تحقيق ذلك من خلال منهج يعمل به من اجتهادات نفسه ، أو من خلال اقتفاء أثر العرفاء في كتب السير والسلوك للعمل بما عملوا أملاً لبلوغ ما بلغوا.. وبعد مدة قد يحقق الشيء القليل ، وقد لا يحقق شيئاً ؛ فيعتقد أن القضية كلها عبث ومضيعة للوقت.

والحق أن قضية السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى ليست أمراً عبثياً ؛ فما هي أكثر الأدلة التي تؤكد حقيقتها ، وإمكان تحقيق آثارها ، ومن ذلك ما ورد في الحديث القدسي : «يا ابن آدم ، أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون»^(١). فمن أين الخلل إذاً؟

لا بدّ أن ندرك أولاً أن قضية السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى مبنية على سفر له أسس وقواعد وأدلة.. وأقصد بالدليل هنا :

(١) عدة الداعي - ابن فهد الحلبي : ص ٢٩١ .

الآلة التي ستساعدك على الوصول إلى عالم الأنوار، والوقوف على خفايا الأسرار، وهذا الدليل هو دليل الحكمة.

فإنه قد ثبت في محله أن الأدلة ثلاثة، وكل دليل هو آلة لعلم، وبه تحصل نوع من أنواع المعرفة؛ فالدليل المجادلة بالتي هي أحسن هو آلة لعلم الشريعة، وبه تحصل المعرفة الصورية، ودليل الموعدة الحسنة هو آلة علم الطريقة، وبه تحصل المعرفة العقلية، ودليل الحكمة هو آلة علم التوحيد، وبه تحصل المعرفة الحقيقية؛ ولذا كان هو أشرف الأدلة، ومطمع وغاية آمال العارفين.

وثانياً: إن دليل الحكمة لا يتحقق إلا بقسميه معاً: العلمي والعملية.

بمعنى آخر.. إن أحدهما لا يكفي عن الآخر؛ لأن العلمي ميزان العملي، والعملي روح العلمي؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلت عليه المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إن الإيمان بعضه من بعض»^(١).

(١) العلم والحكمة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري: ج ١ ص ٦٩.

وفي هذا الأمر نقطة هامة ، وهي : إن القسم العلمي فيه جانب من العمل ؛ أي : على السالك أن يسعى لتحصيل دليل الحكمة من النظر في الكتاب والسنة ، والآيات الآفاقية والأنفسية (التفكر) ، ويحقق شرطه وهو اتباع ما بين سبحانه وتعالى له من الحق فيها . فالقضية إذاً ليست كما يعتقد البعض ، وهو حصول المكاشفة (العلم اللدني) من دون أي نظر (علم) ؛ لأنها في الحقيقة لا تأتي إلا في أثناء النظر أو بعده ؛ فليس من المعقول أن تعلم ما تخبر به الآية أو الرواية من الحقائق من دون أن تنظر فيهما ، أو تدرك الحقيقة الأنفسية أو الآفاقية من دون أن تتفكر في قدرته وحكمته وغير ذلك .

وكذلك هو القسم العملي ، فإن فيه جانباً من العلم لأجل تحصيل الأعمال المشروعة ، وتمييزها عن غير المشروع منها ؛ فليس كل عمل يتخذ في السلوك ، بل فقط ذاك الذي ثبت في مستند دليل الحكمة ؛ أي : في الكتاب والسنة ؛ ومعرفة هذا يحتاج إلى نظر قطعاً . فلا يغني الاتكال على فعل أحد ما لهذا العمل أو ذاك ، أو نقله على أنه من المجربات ، فقد يكون من المحظورات التي تقطع السلوك ، أو تحرفه عن طريق الجادة والغاية الصحيحة .

وثالثاً : إن لقسمي دليل الحكمة شروطاً يجب اتباعها ، وعدم التهاون فيها ، وهي :

١- شروط دليل الحكمة العلمية

أن يكون السالك حين نظره إلى الكتاب والسنة والآيات الآفاقية والأنفسية مجرداً عن ثلاثة أمور، ومتقيداً بثلاثة أمور. أما الأمور التي يجب التجرد منها: الأول: العناد والرد، فإذا كان يريد ذلك تفرق قلبه عن استماع المقصود، الثاني: ما أنست عليه النفس، فإذا ركن إلى ذلك فإنه يصعب عليه مفارقتها، فيتكلف في قبول ما يخالفه؛ لأن حب الشيء يعمي ويصم، الثالث: الاعتماد على ما عنده من القواعد والضوابط؛ لأنه سيرى كل ما يوافق قواعده صحيحاً فيقبله، وكل ما يخالفها خاطئاً فينكره، وقد يكون الخطأ في قواعده. وأما الأمور التي يجب التقيّد بها: الأول: أن يكون نظره بمحض فهمه وذكائه، الثاني: ومقصوده التعلم من الكتاب والسنة وآياته تعالى، والقبول منها، والتصديق بما فيها، الثالث: وتابعاً لها، لا تابعاً لمرادات نفسه أو مرادات أخرى.

٢- شروط الحكمة العملية

أن يكون مخلصاً لله سبحانه وتعالى في توحيد وعبادته، ولا هم له ولا شغل شاغله إلا رضاه في كل شيء^(١).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥-١٩٧.

الإشراق التاسعة

هل تعلم..

أنه لا يمكن للمخلوق إدراك أو تصور
حقيقة الله سبحانه وتعالى

قد تختلف جميعاً في بعض التصورات لأننا لم نخلق على قابلية واحدة ؛ ولكن نتفق في بعضها الآخر. ومما نتفق فيه هو أن هناك خالقاً خلقنا ، وهو الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها الفطرة التي جبلت عليها جميع الكينونات كما قال تعالى : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

وهذا ما نستطيع الوصول إليه بالبداهة الواقعية ، فبمجرد تأمل وجود أنفسنا ، ووجود كل الأشياء في هذا العالم ؛ ندرك بأنها لم تخلق نفسها بنفسها ، بل إن الله سبحانه وتعالى هو من خلقها ، وهو من يمدّها بالحياة والرزق ، ويقبض أرواحها في حين بلوغ أجلها.. فهو إذاً من تصح له العبادة وحده ؛ ولا إله إلا هو.

ولكن.. إذا كان الله لا يرى ؛ فكيف تتصور حقيقته حينما تقف لعبادته في صلاتك كل يوم ، وحينما ترفع أكفك لتدعوه في كل حاجة ، وحينما تناجيه بأحزانك في موطن كل نائبه.. إلخ؟

(١) سورة الروم : (٣٠).

هل تتصور أن له وجوداً كوجودنا؟! فتشخصه وتكيفه.
أو أن له علماً كعلمنا، وحياة كحياتنا، وسمعاً كسمعنا...؟!
ولو على فرض أن هذه الصفات فيه أشرف وأكمل كما قال بعضهم
بذلك ظناً منهم أننا مظاهر لذاته^(١).

إذا كان الأمر كذلك.. فدعني أقول لك:

إن هذا المتصور ليس هو الله الذي أثبتنا وجوده؛ وإنما هو حقيقة
شيء مخلوق مثلنا.. يخلقه البعض بالتصور، ويعتقد أنه الإله الذي
يجب عبادته، وهذا شرك في العبادة؛ لأن الشرك قد يكون بمصدق
خارجي، وقد يكون بالتصور في الذهن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٢).

ولماذا لا نستطيع إدراك أو تصور حقيقة الخالق سبحانه وتعالى؟
لأن الإدراك يستلزم الإحاطة، والتصور يستلزم الاتحاد في
الرتبة، والله سبحانه وتعالى في رتبة أزله التي لم يصعد إليها شيء،
ولم ينزل منها شيء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٣)، ومخلوقاته في رتبة

(١) جامع الأسرار ومنابع الأنوار - السيد حيدر آملی: ج ١ ص ١٠٧.

(٢) سورة العنكبوت: (١٧).

(٣) سورة طه: (١١٠).

الإمكان الحادثة ؛ فلا يمكنهم إدراك أو تصور حقيقة الأعلى منهم ، وهذا هو مصداق قول الإمام الصادق عليه السلام : « كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم »^(١).

فأين وكيف هو؟ كيف سمعه الذاتي؟ كيف بصره الذاتي؟ الطريق إلى هذا التساؤلات - وما شاكلها - مسدود والطلب مرفوض ؛ ولذا جاء النهي عن الكلام في كيفية الذات الإلهية ، فقد قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « تكلموا في خلق الله ، ولا تتكلموا في الله ؛ فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً »^(٢).

وقد يقال : إن الله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته كما في قوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »^(٣) ، وأمرنا بمعرفته كما ما جاء في الحديث القدسي : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف »^(٤) ؛ فالعبادة الصحيحة متوقفة إذاً على المعرفة ، وإذا كان مجهولاً مطلقاً فكيف يُعرف ليعبد؟!

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٦ ص ٢٩٣ ب ٣٧ / صفات خيار العباد وأولياء الله ح ٢٣.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٩٢ ك / التوحيد ب ٣٤ / النهي عن الكلام في الكيفية ح ١.

(٣) سورة الذاريات : (٥٦).

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٨٤ ص ١٩٩ ب ١٢ / كيفية صلاة الليل والشفع.

والجواب : نعم ، إنه سبحانه وتعالى لما خلق الخلق وصف نفسه بأنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(١) ؛ أي : وصف نفسه بأنه المجهول المطلق من جميع جهات ذاته ؛ ولكن حكمته ولطفه لم تخلُ من تعريف نفسه لكافة مخلوقاته ليعرفوه بما وصف به نفسه ، فوصف نفسه لهم - وصف استدلال لا وصفاً يكشف عن ذاته - بوصفين : الأول : وصف حالي ، وهو كتابه التكويني الذي ملأت الآفاق والأنفس آياته ؛ «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(٢) ، الثاني : وصف مقالي ، وهو كتابه التدويني الذي ظهر على السنة أوليائه وحججه على خلقه ، ولذا قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : «بنا عبد الله ، وبنا عرف الله»^(٣) .

فمن عقد قلبه في عبادته على الجهل به مطلقاً ، وعرفه بما وصف به نفسه فقد امثل لأمره ، ومن تصور شيئاً فقد عبد ما تصوره ، ولم يعبد الله سبحانه وتعالى^(٤) .

(١) سورة الشورى : (١١) .

(٢) سورة فصلت : (٥٣) .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ١٤٥ ك / التوحيد ب ٤٩ / النوادر ح ١٠ .

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٣ ص ١٤٨-١٤٩ .

الإشراق العاشرة

هل تعلم..

ما حقيقة الوصف الذي وصف الله سبحانه
وتعالى به نفسه لمعرفته؟

لما كان باب معرفته ذاته سبحانه وتعالى مسدود والطلب مرفوض ، وجب في الحكمة أن يعرف نفسه لخلقه ليعرفوه ؛ فوصف نفسه لهم بهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع عنها»^(١).

والمقصود من أنه سبحانه وتعالى وصف نفسه لهم بهم :
أما (وصف نفسه) : أي : هو الذي عرف نفسه ليعرفوه لعدم قدرة أحد مما سواه على تعريفه ، إذ لا يعرف كيف هو إلا هو ، وهذا مصداق ما ورد في الدعاء : «يا من دل على ذاته بذاته»^(٢) ؛ أي : دل على نفسه بنفسه ، وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام : «اعرفوا الله بالله»^(٣) ، وقال عليه السلام أيضاً : «ولا تدرك معرفة الله إلا بالله»^(٤) ؛ أي : بما وصف به نفسه ، لا بما وصفه غيره.

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي : ج ٢ ص ١١٥ من خطبة له في تنزيه الله.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩١ ص ٢٤٣ ب ٤٠ / أحرار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام .. ح ١١.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٨٥ ك / التوحيد ب ٢٩ / أنه لا يعرف إلا به ح ١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٤ ص ١٦١ ب ١ / المغايرة بين الاسم والمعنى ح ٦.

وأما (بهم): أي: بوصفه الفعلي، وهو الوصف الأسمائي والصفاتي؛ أي: الوصف الشهودي العياني الذي يشمل سائر الآيات الآفاقية والأنفسية كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١)؛ لأنه سبحانه وتعالى جعل حقائق الخلق - الذين هم أسماؤه وصفاته - آياتٍ وأمثالٍ تدل عليه، إذ ليس هناك أقرب إلى الشيء من نفسه، وليس هناك حجة أجلى وأبلغ وأقطع من ذلك.

وهذا الوصف الفعلي وإن تكثر وتنوع باعتبار مفعولاته؛ إلا أنه حقيقة واحدة في كمال البساطة الإمكانية، ظهر في مثله الأعلى، وآيته الكبرى، وهي حقيقة النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ولذا قال ﷺ: «يا علي، أنت حجة الله.. وأنت المثل الأعلى»^(٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما لله عز وجل آية هي أكبر مني»^(٣).

(١) سورة فصلت: (٥٣).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق: ج ١ ص ٩ ب ٥ / في فضل مولانا علي عليه السلام ح ١٣.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ٢٠٧ ك / الحجة ب ٨٠ / أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل هم الأئمة

بمعنى آخر.. إن حقائقهم ﷺ هي ذلك الوصف الظاهر الذي وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه ليعرف، فلا يعرف الله إلا من عرفهم؛ أي: عرف حقيقة حقائقهم ﷺ (معرفتهم بالنورانية). وعلى هذا يأتي معنى ما جاء في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(١)؛ أي: خلقت محمداً ﷺ وأهل بيته ﷺ لكي أعرف.

وحتى حين القول بأن المقصود من كلمة (الخلق) في الحديث هو كافة المخلوقات فإن الأمر يعود أيضاً إلى حقيقتهم ﷺ؛ لأنه - مثلاً - كما في النفس ومعرفتها التي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٢)، فصحيح أن معرفة النفس مجردة عن كل شيء - أي: معرفة الوصف الفهواني - آية ودليل لمعرفته عز وجل؛ إلا أن النفس ما هي إلا فعل خاص تعود حقيقته إلى الفعل المطلق؛ أي: تعود إلى حقيقتهم ﷺ؛ لأنها (النفس وغيرها من الآثار الفعلية) مخلوقة من شعاع أنوارهم.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٨٤ ص ١٩٩ ب ١٢ / كيفية صلاة الليل والشفع.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٢ ص ١٨٧٧ ح ٢٥٩٨.

فالوصف النفساني هو أثر من وصف الله الأعلى والأكبر،
والدعوة إلى معرفته ﷺ بهذه الطرق - ومنها طريق معرفة النفس - ما
هي إلا دعوة إلى معرفة حقيقتهم ﷺ وحقانيتهم ؛ لأنهم حقيقة
كل ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه لخلقه من الدرة إلى الدرة.
وعلى هذا أيضاً جاءت الروايات التي تبين أن معرفتهم ﷺ
هي عين معرفة الله سبحانه وتعالى ، والجهل بهم ﷺ جهل به
سبحانه وتعالى ، ومنها :

قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «من عرفنا فقد عرف الله ، ومن
أنكرنا فقد أنكر الله ﷻ»^(١).

وقال الإمام الرضا ﷺ حينما سئل عن إتيان أبي الحسن موسى
ﷺ : «السلام على الذين من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم
فقد عادى الله ، ومن عرفهم فقد عرف الله ، ومن جهلهم فقد جهل
الله»^{(٢) (٣)}.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٦ ص ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٩ ص ١٢٦ ب ٨ / الزيارات الجامعة التي يزار بها كل إمام ح ١.

(٣) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

الإشراقة الحادية عشرة

هل تعلم..

ما الفرق بين الصفات الذاتية والصفات
الفعلية لله سبحانه وتعالى؟

إذا كان الشيء لا يتقوم إلا بصفات ، والله سبحانه وتعالى شيء
بحقيقة الشيئية ؛ فما هي صفاته إذاً ؟

الجواب : إن لله سبحانه وتعالى صفات ذاتية ، وصفات فعلية ،
والفرق بينهما :

أولاً : على فرض المغايرة وعدمها

إذا فرضت عدم المغايرة بين الصفات وبين الذات ، لا في المفهوم
ولا في المصداق ، ولا في الذهن ولا في الخارج ، بمعنى أن الصفة هي
عين الذات ، والذات والصفة لفظان لمعنى واحد ؛ فهي صفات
ذاتية ؛ كالعلم ، والسمع ، والبصر ، والحياة .. إلخ.

فحينما تقول العليم فإنه نفس السميع ، وهما نفس البصير
والحي ، فإنها ألفاظ مترادفة لا يراد منها إلا شيء واحد مع قطع النظر
عن الخصوصيات الصفاتية ، وهو الذات البحت الكامل المطلق ؛
كلفظة الأسد والليث والغضنفر.

وإن فرضت المغايرة والتعدد والتكثر؛ فهي صفات فعلية؛ كالصانع، والمريد، والمشيء، وأمثالها؛ لأنها ليست موضوعة بإزاء الذات البحث من حيث هي هي، وإنما موضوعة بإزاء الظهورات، ومقام الظهور للفعل لا للذات.

كصفة القائم والقاعد والكاتب في زيد، فإن زيداً لما ظهر بالقيام سمي القائم، ولما ظهر بالقعود سمي القاعد، ولما ظهر بالكتابة سمي الكاتب، وكل ذلك حصل أولاً في مقام الظهور لا في مقام الذات، إذ لو كان الأمر غير ذلك، لكان زيداً قائماً على كل حال. وكذلك هي الصفات الفعلية، فإنه سبحانه وتعالى سمي بالقادر لما ظهر بالقدرة، وسمي بالخالق لما ظهر بالخالقية، وسمي بالرازق لما ظهر بالرازقية.. إلخ.

نعم، إن هذه الصفات وإن كانت ليست من ذاته، ولا في ذاته، ولا تدل على ذاته دلالة كشف، وإنما تدل عليه دلالة استدلال، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صفة استدلال عليه، لا صفة تكشف له»^(١)؛ إلا أنه عند إطلاقها فالمقصود منها هو سبحانه وتعالى لا

(١) تفسير الصراط المستقيم - السيد حسين البروجردي: ج ٣ ص ١٧٥.

غيره ؛ لأن الصفة حين التوجه بها باطلة مضمحلة عند ظهور الذات التي غابت كل الصفات ؛ كما في خطابك لزيد ، فأنت تخاطبه وتقول : يا قائم ، فلا تريد بذلك ظهور القيام ، بل لا يخطر ببالك ذلك أبداً ، وإنما تريد بذلك هو - أي : نفس زيد - مع قطع النظر عن أن تلك الصفة التي توجهت بها كسبيل ودليل تستدل بها عليه .

وحيثما يوصف سبحانه وتعالى بها فإن ذلك يكون في حين الظهور لا قبل ذلك ؛ لأنها صفات فعلية حادثة بحدوث المعلوم ، لا صفات ذاته ؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام : « لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور »^(١) .

وثانياً : على فرض جواز السلب وعدمه

فالصفات الذاتية قديمة لا يجوز سلبها أو إثبات ضدها له سبحانه وتعالى ؛ فلا يقال : علم ولم يعلم ، سمع ولم يسمع ، أنه حي أنه

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ١٠٧ ك / التوحيد ب ٣٨ / باب صفات الذات ح ١ .

ميت ، أنه قادر أنه عاجز ، وأمثالها ؛ لأنها عين ذاته . ولا يجوز الحديث فيها لأنه لم يصف نفسه بها ، فإنه سبحانه وتعالى المجهول مطلقاً .

أما الصفات الفعلية الحادثة فيجوز سلبها ، فيقال : رزق ولم يرزق ، خلق ولم يخلق ، أراد ولم يرد ، وأمثالها . ويجوز الحديث فيها لأنه وصف نفسها بها ، فإنه صفات أفعال صيغت من الفعل ورتبته الحادثة^(١) .

(١) حياة النفس - الشيخ الأوحى الأحسائي : ص ٨ ف ١١ / الله مريد . شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ١ ص ٢١٥-٢١٦ .

الإشراق الثانية عشرة

هل تعلم..

من أي شيء خلقنا الله سبحانه وتعالى؟

حينما يريد المخلوق صنع شيءٍ ما ، فلا يمكنه فعل ذلك من دون وجود مادة أساسية للصنع ، فالنجار يحتاج إلى الخشب لصنع الباب ، والبناء يحتاج إلى الطوب لصنع الجدار.. إلخ.

وإذا كان أمر الصنع - عندنا - قائماً على مبدأ الحاجة إلى وجود مادة ما ؛ فهل الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق الخلق احتاج إلى مادة أيضاً من أجل خلقهم؟

الجواب : إن في هذه المسألة افتراضين لا ثالث لهما :

الافتراض الأول : إما أن يكون قد احتاج إلى مادة لخلق الخلق ، وعلى هذا الفرض ، فالكلام يكون في هذه المادة... من أين جاءت؟

فإما أن تكون هذه المادة موجودة قديمة شريكة معه في قدمه الأزلي ، وهذا باطل ؛ لاستلزامه تعدد الإلهة.

أو تكون هذه المادة منه سبحانه وتعالى ، بمعنى أنه خلق الخلق من ذاته ، كما ينخلق النور من الشمس ، وتنخلق الأمواج من البحر ، وهذا أيضاً باطل ؛ لاستلزامه العديد من المحظورات ، ومنها القول بأنه

سبحانه وتعالى علة للأشياء ، وهذا يقتضي وجود السنخية - أي :
وجود الشبه والمناسبة - بين الخالق والمخلوق .

كما في سنخية الوجود بين الشمس وأشعتها ؛ فكما أن وجود
الأشعة قائم بوجود الشمس ، ومنعدم بانعدامها ، فكذلك سيكون
الوجود بيننا وبين خالقنا ، فإما أن يكون وجودنا أزلياً ، فنكون أرباباً
لا نموت ، أو يكون وجوده حادثاً ، فلا يكون إلهاً خالقاً بل مخلوقاً
مثلنا.. وفناؤنا وفقرنا ، ودوامه الأبدي وغناه ؛ أبسط دليل على عدم
كونه سبحانه وتعالى علة لنا ، وعلى انتقاض المساخنة بيننا ، فقد قال
الإمام الرضا عليه السلام : « فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكل ما
يمكن فيه يمتنع من صانعه »^(١).

الافتراض الثاني : وإما أنه لم يحتج إلى مادة لخلق الخلق ، وإنما
ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وهو الحق ؛ فقد قال الإمام
الرضا عليه السلام - لفتح بن يزيد الجرجاني - : « وإن صانع كل شيء فمن
شيء صنع ، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥٤ ص ٤٤ ب ٦ / أخبار وخطب في التوحيد ح ١ .

شيء»^(١)، وقال الإمام الباقر عليه السلام - للشامي -: «وكان خالقاً ولا مخلوق، فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء؟ فقال السائل: فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، ولو خلق الشيء من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء؛ ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء»^(٢).

ويريد عليه السلام بالشيء الذي خلق (ابتدع) لا من شيء كان قبله، ومنه خلق كل شيء المشيئة كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة»^(٣)؛ فإنها المادة الأولية الحادثة لا من شيء، والعلة التي خلق منها الخلق. وهنا قد يقال:

كيف تكون المشيئة هي المادة الأولى، وهناك روايات تقول بأن المادة الأولى - والعلة - التي خلق منها الخلق هي شعاع الحقيقة

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق: ص ١٨٦ ب ٢٩ / أسماء الله تعالى .. ح ١.

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق: ص ٦٧ ب ٢ / التوحيد ونفي التشبيه ح ٢٠.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ك / التوحيد ب / الإرادة إنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل ص ١١٠ ح ٤.

المحمدية ، كما في قول النبي الأعظم محمد ﷺ لجابر لما سأله : ما أول ما خلق الله عز وجل : قال ﷺ : «نور نبيك يا جابر خلقه الله وخلق منه كل خير»^(١).

والجواب : إن الحقيقة المحمدية تطلق ويراد بها معنيان :
الأول : أنها محل المشيئة ؛ لأن المشيئة جوهر غيبي يتوقف تحققه وظهوره على وجود محل ، وهم ﷺ محله .
الثاني : أنها أثر المشيئة ؛ أي : أول صادر صدر من فعل الله ، ومن شعاع أنوارهم ﷺ خلقت المخلوقات .
فإن نظرنا إلى المعنى الأول ، فلا فرق بين القول بأن المشيئة هي المادة الأولى أو هم ﷺ للمناسبة بين الحال والمحل ، وإذا نظرنا إلى المعنى الثاني ، فالأمر يعود إلى مقامهم في عالم الوجود المقيد من كونهم أول صادر صدر من فعل الله - أثر الفعل - ، لا إلى مقامهم في عالم الوجود المطلق في ظرف السرمد ، فإنهم في هذا المقام هم فعل الله سبحانه وتعالى^(٢).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٥ ص ٢٤ ح ٤٣ ب ١ / بدء خلقه وما جرى له في الميثاق .

(٢) شرح الفوائد - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، وص ٣١٠ . نجاة الهالكين - الشيخ محمد

بن أبي خمسين : ص ١٩٩ .

الإشراق الثالثة عشرة

هل تعلم..

أن معرفتهم عليهم السلام بالنورانية هي الحد الواجب
والمطلوب؟

اتفقت الشيعة الإمامية على أن معرفة الواسطة أو حجة الله على خلقه من الضروريات الأولية والواجبات النفسية العينية التعينية، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة، فمن العقلية دليل اللطف، ومن النقلية ما روي عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: «إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة لله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله واتبعه وصدقه فإن معرفة الإمام منا واجبة عليه»^(١).

ولكن.. بما أنهم عليهم السلام الواسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، ولحقيقتهم وجود نوراني في أصل الخلقة، وظهور بشري في مدة حياتهم في عالم الدنيا، وبما أن التكليف توجه إلى وجوب معرفتهم؛ فهل المعرفة الظاهرية كافية لإحراز هذا الأمر الواجب، أم أن الإطار أوسع من ذلك، فيتجه الأمر إلى طريق معرفتهم بالنورانية؟

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ١٨٠ ك/ الحجة ب ٦٩ / معرفة الإمام والرد إليه ح ٣.

الجواب : لا نستطيع تحديد أي المعرفتين هي المناط أو الأساس الذي يقوم عليه الأمر في معرفتهم عليهم السلام ؛ إلا بعد الوصول إلى الحد الواجب والمطلوب في حق معرفتهم عليهم السلام.

ولا بُدَّ أن نسلم أنه من المحال أن يدعو الله سبحانه وتعالى ، وكذلك هم عليهم السلام إلى وجوب معرفتهم ، ثم يتركوا الأمر هكذا من دون أن يبينوا حدها. ولو تدبرنا جيداً ما جاء منهم عليهم السلام في الأمر بمعرفتهم ، فسوف نجد أنهم لم يهملوا هذا الأمر الهام ، بل أكدوا عليه مراراً وتكراراً في دعوة معرفتهم عليهم السلام بالحقانية التي وردت في الكثير من كلماتهم ، ومنها قول النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله : «والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلا بمعرفة حقنا»^(١) ، وقوله صلى الله عليه وآله : «سراج المؤمن معرفة حقنا ، وأشد العمى من عمي عن فضلنا»^(٢).

فإن في دعوة معرفتهم عليهم السلام بالحقانية إشارة إلى ضابطة الحد الواجب والمطلوب في حق معرفتهم عليهم السلام ، ويمكن الوصول إليها منها من خلال فهم معنى مفردة الحق.. فما معنى هذه المفردة؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٧ ص ٩١ ب ٤ / ثواب جهنم ونصرهم وولايتهم.. ح ٤٥.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٥ ص ٦٢ ب ١٥ / فضائل الشيعة ح ١١٣.

إذا وضعنا هذه المفردة تحت مجهر الفحص والتنظير؛ فسوف نجد أنها استعملت لعدة معانٍ - ما سنذكره منها لا يختلف معنى معرفتهم عليهم السلام بالحقانية فيها إلا من ناحية جهة التعلق -، ومنها:

المعنى الأول: الحق، هو حقيقة الشيء، ما به الشيء هو هو؛ أي: ذاته وكنهه^(١)؛ وبهذا المعنى تعلق المراد بخصوصية حقيقتهم عليهم السلام، فيكون المقصود من معرفتهم عليهم السلام بالحقانية - أو الحد الواجب والمطلوب في معرفتهم عليهم السلام - هو معرفتهم بالنورانية؛ لأنها الجهة المعبرة عن كنههم، كما جاء في حديث النورانية حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية»^(٢).

المعنى الثاني: الحق، هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره من حق الشيء إذا ثبت^(٣)؛ وبهذا المعنى تعلق المراد بخصوصية خصائص حقيقتهم عليهم السلام؛ أي: مقاماتهم وفضائلهم، فيكون المقصود من معرفتهم عليهم السلام بالحقانية هو معرفة ما ثبت من حق لحقيقتهم،

(١) لسان العرب - ابن منظور: ج ٣ ص ٢٥٦ مادة (حق).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٦ ص ١ ب ١٣ / نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية ح ١.

(٣) الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري: ص ١٩٣.

وبذلك يعود المعنى أيضاً إلى معرفتهم عليهم السلام بالنورانية ، كما جاء في حديث الخيط حيث قال الإمام السجاد عليه السلام لجابر : « يا جابر أتدري ما المعرفة ؟ إثبات التوحيد أولاً ثم معرفة المعاني ثانياً ، ثم معرفة الأبواب ثالثاً ، ثم معرفة الإمام رابعاً »^(١).

وعلى ضوء هذه المعاني ، يمكننا إجمال القول بأن المقصود من معرفتهم عليهم السلام بالحقانية ، أو الحد الواجب والمطلوب في حق معرفتهم عليهم السلام : هي المعرفة التصديقية المنطوية على كل شأن خصهم به سبحانه وتعالى في مقام الرتبة التي وضعهم فيها ، سواء تعلق بحقيقة حقائقهم النورانية ، أو بمقاماتهم وأسرار فضائلهم عليهم السلام ، أو بغير ذلك.

وهذا المقصود هو عين المراد من معرفتهم عليهم السلام بالنورانية ، فإن معرفتهم بالحقانية هي عين معرفتهم بالنورانية ، وهي معرفة أنهم المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، ومعاني كلمات الله ، وبابه الذي منه يؤتى ، وأولياؤه وخلفاؤه في أرضه^(٢).

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة على الغائب - الشيخ علي اليزدي الحائي : ج ١ ص ٣٧-٤٠.

(٢) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد الأحسائي" - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٣ ص ١٦.

الإشراقة الرابعة عشرة

هل تعلم..

أن معرفتهم عليهم السلام الظاهرية داخلة في الحد
الواجب والمطلوب، ومنجزة ومعدرة ولكن
بشروط؟

لا ريب أن المقصود من حق معرفتهم ﷺ الذي أكدوا عليه في معرفتهم بالحقانية هو معرفتهم ﷺ بالنورانية.

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فهل معرفتهم ﷺ الظاهرية داخلية في الحد الواجب والمطلوب ، ومنجزة ومعدرة أم لا ؟

الجواب : نعم ، فإنه وإن كانت معرفتهم ﷺ بالنورانية معرفة تفصيلية ، ومعرفتهم ﷺ بالظاهر معرفة إجمالية ؛ إلا أن كليهما من الحد الواجب والمطلوب ؛ لأن حق معرفتهم ﷺ يشمل جميع ما لمقام رتبهم من حق. فهناك حق معرفتهم ﷺ في مقام البيان ، وهو معرفة الله سبحانه وتعالى بهم ، وحق معرفتهم ﷺ في مقام المعاني ، وهو معرفة أنهم معاني أفعاله ، وحق معرفتهم ﷺ في مقام الأبواب ، وهو معرفة أنهم أبواب الله التي منها يؤتى ، وحق معرفتهم ﷺ في مقام الإمامة ، وهو معرفة أنهم حجج الله على خلقه ، والأولياء المفترضو الطاعة ، ويجب الاقتداء بهم والأخذ منهم والتسليم لهم والتبري من أعدائهم ، وغير ذلك من حقوق هذا المقام.

ويدل على ذلك ما جاء في جواب الإمام الصادق عليه السلام على كتاب المفصل بن عمر، حيث قال له: «والمعرفة على وجهين: معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله، فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها، الموجب حقها، المستوجب عليها الشكر لله، الذي منّ عليكم بها منا من الله، يمن به على من يشاء من عبادة مع المعرفة الظاهرة. ومعرفة في الظاهر، فأهل المعرفة في الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم به، لا يستحق أهلها ما يستحق أهل المعرفة الباطنة على بصيرتهم، ولا يصلوا بتلك المعرفة المقصورة إلى حق معرفة الله»^(١)؛ فإنه عليه السلام لم يخرج المعرفة الظاهرية من حد المعرفة الحقة (فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها.. مع المعرفة الظاهرة)؛ لأن مقام الإمامة وما تعلق به من الحق الذي لهم عليهم السلام، بل إنه من مقدمات معرفتهم عليهم السلام بالنورانية من وجه تدرج مراتب معرفتهم. ولكن الكلام في منجزية ومعدنية المعرفة الظاهرية الإجمالية، فإنه وإن ظهر من بعض الأدلة ذلك، واعتبرتها أدنى مراتب المعرفة

(١) بصائر الدرجات - الصفار: ص ٢٥٩-٢٦٠ ب/ في نوادر مختلفة وكتاب أبي عبدالله عليه السلام إلى المفصل بن

الحقة كما قال الإمام الصادق عليه السلام : «وأدنى معرفة الإمام أنه عدل النبي، إلا درجة النبوة، ووارثه، وأن طاعته طاعة الله، وطاعة رسول الله، والتسليم له في كل أمر، والرد إليه، والأخذ بقوله»^(١)؛ إلا أن هناك أدلة أخرى قامت على عدم اعتبار غير المعرفة التفصيلية (النورانية) في حق معرفتهم عليهم السلام، كما هو الظاهر من بعض الأحاديث كحديث الخيط وحديث النورانية وغيرهما، وخصوصاً في حين إرادة المعرفة الحقة بالله عليه السلام، أو المعرفة المقتضية لتحقيق الإيمان الكامل، هذا أولاً.

وثانياً: إن مقدار الوقوف على المعرفة الظاهرية الإجمالية ينجمي صاحبه من النار ولكن بشروط، ومنها:

الأول: أن يكون اعتقاده جازماً ثابتاً لا يزول بتشكيك مشكك أو بافتتان أو بغير ذلك. وهذا الأمر عادة ما يكون غير مضمون التحقق في هذا النوع من المعرفة؛ لأن الإجمال لا يمكنه رفع الشبهات والغلط والجهل في مواردهم، بمعنى آخر، لا تعطي هذه المعرفة الحصانة المنيعة للواقف عليها.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤ ص ٥٥ ب ٥ / نفي الرؤية.. ح ٣٤.

الثاني : ألا يحصر طريق معرفتهم ﷺ بهذا المقدار من المعرفة ما دام هناك طريق آخر ثابت في معرفتهم ﷺ ، وهو طريق معرفتهم ﷺ بالنورانية ؛ فلا ينكر أو يشك أو يرد شيئاً من مقاماتهم وفضائلهم النورانية إن كان هذا المقدار هو مبلغه من العلم ، بل يكون مصداقاً مسلماً لما فيه من حقهم إذا قصرت قابليته عن التحمل .

الثالث : أن يعتقد أنه بهذا المقدار من المعرفة ما عرفهم ﷺ بحقيقة ما هم عليه ؛ فلا تحقق للوازم وآثار ما يرتبط بمعرفتهم ﷺ الحقة في مقامه ؛ كمعرفة الله عز وجل ، والإيمان الكامل ، وغير ذلك ؛ لعدم تحقق الشرط الواجب فيهما وهو المعرفة بالنورانية .

وكيفما كان ، إن صاحب هذا المقدار من المعرفة وإن لم يحدد طريق معرفتهم ﷺ بالنورانية لجهله أو لقصور قابليته - كما يظهر من بعض الروايات - فإنه يبقى تحت عنوان المقصر ناقص الإيمان ، وله حكم خاص ، أما إذا جحد بعد العلم فهو المقصر الكافر الذي لا يقبل من عمله شيئاً^(١) .

(١) شرح الزيارة الجامعة " تراث الشيخ الأوحى الأحسائي " - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٧ .

نجاه الهالكين - الشيخ محمد أبو خمسين : ص ٦٥ - ٧٢ .

الإشراق الخامسة عشرة

هل تعلم..

ما حد الغلو والتقصير في النبي الأعظم محمد
صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؟

يعود أصل النزاع في جدلية الغلو والتقصير في أهل البيت عليهم السلام إلى اختلاف جهات النظر نحو حقائقهم عليهم السلام إلى جهتين :

الأولى : أكد أصحابها على أن مساواتهم عليهم السلام لجميع البشر حقيقة ثابتة لا ينالها الشك ؛ فلا تخرج حقائقهم عن ذوات البشرية ، ولا تتجاوز حدود الإنسانية إلا بالوحي الإلهي ، فإنه الخاصة والفارق الوحيد بينهم . وأبرز ما استدلوا عليه : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾^(١) ، ومما رأوه منهم من سائر الأفاعيل البشرية ، كالأكل والشرب ، والصحة والمرض ، والقتل والسم ، وغير ذلك .

الثانية : أكد أصحابها على عدم مساواتهم عليهم السلام للبشر أو لغيرهم ، وأن لهم حقائق نورانية لا بشرية ، ولحقائقهم رتبة خاصة بهم لا يشاركون فيها أحد . وأبرز ما استدلوا عليه : كلماتهم عليهم السلام التي صرحت بذلك ، منها ما جاء في الزيارة الجامعة : « خلقكم الله

(١) سورة الكهف : (١١) .

أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين ، حتى مَن علينا بكم»^(١) ، وقال أبو عبدالله عليه السلام : «إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين ، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً»^(٢) .

وعلى هذا.. جاء نظر من أكد مساواتهم بالبشر إلى من رفعهم عن ذلك غلواً (في الصفات) ؛ لأنه جاوزا بهم حد الرتبة البشرية ، ونظر من وضعهم في ربتهم الخاصة بهم (أي : رفعهم عن حد الرتبة البشرية) إلى من أكد مساواتهم بالبشر تقصيراً ؛ لأنه أنزلهم عن حد تلك الرتبة .

ولو عدنا إلى الضابطة التي وضعوها عليهم السلام في هذه المسألة ، فسوف نجد أن الحق فيها مع أصحاب الجهة الثانية ؛ فإنهم ليسوا من المغالين بل من العدلية أو من أصحاب النمط الأوسط الذين قالوا فيهم ما قالوا عليهم السلام وذكروه في حق أنفسهم ، أما أصحاب الجهة الأولى فإنهم من المقصرة الذين جاء ذمهم في الروايات الشريفة .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٩ ص ١٣٠ ب ٨ / الزيارات الجامعة ح ٤ .
(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٣٨٩ ك / الحجة ب ١٥٦ / خلق أبدان الأئمة وأرواحهم .. ح ٢ .

ويمكن الوصول إلى ضابطتهم من خلال كلماته ﷺ : أما من ناحية الرفع (المغالة) فقد قال أمير المؤمنين ﷺ : «أنا عبد الله وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا، ولا نهايته»^(١)، وأما من ناحية الوضع (التقصير) قال الإمام الباقر ﷺ لجابر الجعفي : «يا جابر، إنا أهل البيت لا يقاس بنا أحد، من قاس بنا أحداً من البشر فقد كفر»^(٢)، ويجمعهما (أي : الغلو والتقصير) قول أمير المؤمنين ﷺ : «يا سلمان، نزلونا عن الربوبية، وادفعوا عنا حظوظ البشرية، فإننا عنها مبعدون، وعما يجوز عليكم منزهون»^(٣).

فعلى هذه الضابطة.. يظهر بوضوح الحد الواجب في الغلو والتقصير: وهو وجوب الاعتقاد بأنهم ﷺ مخلوقات وعبيد لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى ميزهم عن سائر خلقه، فجعل لرتبة وجودهم مقاماً خاصاً بهم في عالم الإمكان، لا يشاركهم فيه أحد من المخلوقات (البشر)؛ ففهمهم ﷺ عن المغالة فيهم برفعهم

(١) مستدرک سفینه البحار - الشيخ علي النمازي الشهرودي : ج ٧ ص ٥٢.

(٢) نوار المعجزات - محمد بن جرير الطبري (الشيعة) : ص ١٢٤ ح ١٢.

(٣) اللعة البيضاء - التبريزي الأنصاري : ص ٦٤.

عن هذا حد مقام هذه الرتبة إلى رتبة الألوهية، ونهيمهم ﷺ عن التقصير فيهم بإنزالهم عنها إلى رتبة البشرية، وغير ذلك من وجوه إنقاص حقهم.

وأما الآية التي استدل بها أصحاب الجهة الأولى - وما يظهر في الحديث السابق (فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين) -، فإنها لا تثبت أن حقائقهم ﷺ حقائق بشرية، وأن ما يميزها عن سائر البشر هو الوحي الإلهي؛ لأنها في صدد نفي ألوهيتهم، وإثبات مخلوقيتهم لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يوجد هناك إلا إلهاً واحداً وهو عز وجل؛ أي: إنهم ﷺ مخلوقات ليسوا بأرباب، خلقهم الله عز وجل وميزهم بصفات عالية نورانية منها الوحي؛ لا أنهم بشر وميزوا بالوحي لنستطيع القول بمساواتهم معهم في البشرية؛ فإن من معاني كلمة البشر في اللغة: هو الخلق^(١)، ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: «يعني في الخلق، أنه مثلهم مخلوق»^(٢).^(٣)

(١) لسان العرب - ابن منظور: ج ٤ ص ٥٩ (بشر).

(٢) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ج ٣ ص ٦٩٠ (٦٨٢٢/٩٩).

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٣ ص ٥١ - ٥٨. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ

الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٢ ص ١٥١-١٥٢.

الإشراق السادسة عشرة

هل تعلم..

ما هي المقامات الكلية الأربعة للنبي الأعظم
محمد ﷺ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

لم يخلق الله سبحانه وتعالى مخلوقاً في عالم الإمكان أفضل وأشرف من النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ، ومهما اجتهدنا في الوصول إلى حقيقة حقيقتهم ﷺ يظل ما يصل إلينا منهم رشح وقشر منها؛ فلا أحد يدرك كنه حقيقتهم ﷺ؛ ولذا قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا»^(١).

ومما أظهره ﷺ لنا، هو أن لهم أربعة مقامات كلية، وهي:

الأول: مقام البيان

وهو أعلى مقاماتهم؛ لأنه مقام الظهور لهم بهم؛ أي: مقام ظهوره وتعرفه (الظهور الفعلي لا الذاتي) سبحانه وتعالى لخلقه بهم ﷺ؛ ولذا سمي بمقام إثبات التوحيد؛ لأنهم ﷺ صفته التي وصف بها نفسه لعباده ليعرفوه بها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا»^(٢).

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة - محمد الريشهري: ج ٨ ص ١٨٥ ح ٣٥٨٦.

(٢) بصائر الدرجات - الصفار: ص ٥١٧ ج ١ ب ١٦ / في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله .. ح ٦.

وسمي أيضاً بمقام الحديدية المحماة ؛ لأنهم الحاملون والمظهرون لفعله ، كما جاء في دعاء كل يوم من رجب : «فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان ، يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ، ومناة وأزواد ، وحفظة ورواد ، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت»^(١).

الثاني : مقام المعاني

وهذا مقام الولاية المطلقة ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وسوق كل مخلوق إلى رزقه ؛ باعتبار كونهم عليه السلام معاني أفعاله تعالى ؛ أي : إنهم عليه السلام وجهه الظاهر ، ويده العالية ، ولسانه الناطق ، وأذنه السمعية .. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام - لطارق بن شهاب في حديث طويل يبين فيه صفات الإمام - : «وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب ؛ فالمراد منها الولي ؛ لأنه جنب الله ووجه الله ، يعني حق الله

(١) إقبال الأعمال - ابن طاووس : ج ٣ ص ٢١٤ ب ٨ / مما يختص بشهر رجب .. ف ٢٣ / دعوات في كل يوم من رجب .

وعلم الله ، وعين الله ويد الله ، فهم الجنب العلي ، والوجه الرضي ، والمنهل الروي ، والصراط السوي ، والوسيلة إلى الله ، والوصلة إلى عفوه ورضاه»^(١).

ومما ورد في هذين المقامين ما رواه جابر بن عبدالله عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «يا جابر عليك بالبيان والمعاني ، قال : فقلت : وما البيان والمعاني ؟ فقال عليه السلام : أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فتعبده ولا تشرك به شيئاً ، وأما المعاني فنحن معانيه ، ونحن جنبه وأمر وحكمه ، وكلمته وعلمه وحقه ، وإذا شئنا شاء الله ، ويريد الله ما نريده ، ونحن المثاني التي أعطى الله نبينا ، ونحن وجه الله الذي ينقلب في الأرض بين أظهركم ، فمن عرفنا فأمامه اليقين ، ومن جهلنا فأمامه سجين»^(٢).

الثالث : مقام الأبواب

وهذا مقام الوساطة والترجمة والسفارة العامة على جميع الوجودات الكونية والشرعية ، وسمي بذلك لأنهم عليهم السلام باب الحق

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٥ ص ١٧٣-١٧٤ ح ٣٨٠

(٢) مشارق أنوار اليقين - حافظ رجب البرسي : ج ١ ص ٢٨٦-٢٨٧.

إلى الخلق، وباب الخلق إلى الحق، فلا يفيض ولا يصعد شيئاً إلا بهم وبواسطتهم، قال رسول الله ﷺ: «نحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون»^(١)، وقال أمير المؤمنين - في خطبة يذكر فضائل أهل البيت عليه السلام -: «نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً»^(٢).

الرابع: مقام الإمامة

وهذا مقام ظهورهم عليه السلام في الهياكل البشرية؛ أي: مقام حجة الله على أرضه، وخليفته على خلقه. وقد أشار الإمام أبو عبد الله عليه السلام إلى هذه المقامات الكلية الأربعة في قوله: «إن أمرنا سر في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيد إلا سر، وسر على سر، وسر مقنع بسر»^(٣).^(٤)

(١) أهل البيت في الكتاب والسنة - محمد الريشهري: ص ١٥٧ ح ٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤٠ ص ٢٠٤ ب ٩٤/ أنه عليه السلام باب مدينة العلم والحكمة ح ١١.

(٣) بصائر الدرجات - الصفار: ج ١ ص ٤٨ ب/ نادر ح ١.

(٤) شرح الزيارة الجامعة - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ١ ص ١٠٦-١١٢.

الإشراق السابعة عشرة

هل تعلم..

أن النبي الأعظم محمداً ﷺ وأهل بيته
عليهم السلام هم العلل الأربع للموجودات؟

لقد نشأ مصطلح العلل الأربع حينما انشغلت البشرية - منذ قرون - في الإجابة على أربعة أسئلة، وهي :

من أين جاءت المخلوقات؟

ومن يدير شؤونها؟

ومن سيحاسبها على أعمالها؟

وكيف تنوعت صورها؟

فقالوا: إن لكل موجود أربع علل: علة مادية، وعلة فاعلية، وعلة غائية، وعلة صورية.

كالكرسي مثلاً: فإن له علة مادية وهي الخشب الذي صنع منه، وعلة فاعلية وهو النجار الذي صنعه، وعلة غائية وهي الغاية من صناعته؛ أي: الجلوس عليه، وعلة صورية وهي الهيئة التي ظهر بها، وعليها سمي كرسيًا.

ولم يظل بحثهم في محيط الجزئيات طويلاً ؛ بل ارتقى نظرهم إلى الكليات الأولية للأشياء ؛ فقالوا : ما هي العلة الأربع لجميع الموجودات ؟

فذهب رأي - وهو المشهور - إلى القول بأن العلة الأربع للخلق تعود إلى الله - جل ربي وعلا - ؛ بناءً على نظريات تبناها كأساس لذلك ، ومنها أن الله سبحانه وتعالى هو علة الأشياء ، ونظرية وحدة الوجود (بسيط الحقيقة كل الأشياء) .. فأصل المادة من ذاته ، وقيام الفاعلية بذاته ، والغاية لذاته ، والصورة من ذاته أيضاً^(١).

وذهب رأي آخر - وهو الحق الذي تشهد به الأدلة العقلية والعقلية - إلى القول بأن النبي الأعظم محمدًا ﷺ وأهل بيته ﷺ هم العلة الأربع للموجودات ، بناءً على نظرية أن المشيئة هي العلة الحقيقية للأشياء - وليس ذاته سبحانه وتعالى - ، وهم ﷺ محلها ، وأول صادر صدر منها (الماء ، الوجود ، النور) ، فقد قال أبو عبدالله عليه السلام : «نحن علة الوجود ، وحجة المعبود»^(٢).

(١) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ٣ ص ٢٣٦ . نهاية الحكمة - السيد الطباطبائي : ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٦ ص ٢٥٩ ب ٥ / جوامع مناقبهم وفضائلهم ج ٢٢ .

فإنه بناءً على أن جميع الأشياء خُلقت من شعاعهم أنوارهم ﷺ، وليس من ذاته سبحانه وتعالى، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في - الخطبة اليتيمية -: «علة ما صنع صنعه وهو لا علة له»^(١)؛ فهم ﷺ من هذا الباب العلة المادية لجميع الموجودات.

وبناءً على أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً بذاته لتنزهه عن المباشرة مع مخلوقاته، وإنما يفعل ما شاء بفعله، وفعله لا يظهر إلا فيهم أو بهم ﷺ؛ لأنه متقوم بهم تقوم ظهور، كما ورد في الزيارة الجامعة: «والظهيرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذي لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»^(٢)؛ فهم ﷺ من هذا الباب العلة الفاعلية.

وبناءً على أن جميع الموجودات خلقت لأجلهم، ومرجعها إليهم، وحسابها عليهم، كما قال الرسول الأعظم محمد ﷺ: «ثم خلق الخلائق من نورنا، فنحن صنائع الله، والخلق من بعد صنائع لنا»^(٣)، فهم ﷺ من هذا الباب العلة الغائية.

(١) كشكول الشيخ الأحسائي: ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٩ ص ١٢٨ ب ٨ / الزيارات الجامعة ح ٤.

(٣) مشارق أنوار اليقين - الحافظ البرسي: ص ٥٧.

وبناءً على أن صور الموجودات من حسن وقبح جرت على مقتضى قبول ولايتهم وإنكارها في عالم الذر، فمن قبل الولاية خلق بالصورة الحسنة (صورة الطاعة)، ومن أنكر الولاية خلق بالصورة القبيحة (صورة المعصية)، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر - في حديث البطيخ -: «يا قنبر، إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات وأهل الأرض من الجن والإنس والثمر وغير ذلك، فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، وما لم يقبل منه خبث وردي ونتن»^(١)، فهم عليهم السلام من هذا الباب العلة الصورية^(٢).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٧ ص ٢٨٣ ب ١٧ / ما أقر من الجمادات والنباتات بولايتهم عليهم السلام ح ٦.

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٣ ص ٦٤-٦٧. نجاة الهالكين - الشيخ محمد محمد أبو خمسين: ص ٢٤٩-٢٥٠.

الإشراق الثامنة عشرة

هل تعلم..

أن النبي الأعظم محمداً ﷺ وأهل بيته
عليهم السلام يتساوون من جهة ويتفاضلون من جهة؟

لقد صرحت الآيات القرآنية أن الأنبياء ﷺ ، أو حجج الله على خلقه يتساوون تارة كما في قوله تعالى : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^(١) ، ويتفاضلون تارة أخرى كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

وبما أن النبي محمداً ﷺ وأهل بيته ﷺ هم الآية والحجة الكبرى لله سبحانه وتعالى على كافة خلقه ؛ فهل يتساوون ويتفاضلون أيضاً؟

الجواب : إن للنبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ حقيقة واحدة يتساوون ويتفاضلون فيها من جهة النظر.

فيتساوون ﷺ إذا نظر إلى أفراد هذه الحقيقة الواحدة من جهة ما يحتاج إليه جميع الخلق من العلم وغيره ؛ لأن كل واحد منهم حجة مستقلة ، فلا يمكن أن يكون كذلك ولا يوجد عنده جميع ما

(١) سورة البقرة : (١٣٦).

(٢) سورة الإسراء : (٥٥).

يحتاجون إليه ؛ ولذا روي عن زيد الشحام قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيما أفضل الحسن أم الحسين ؟ فقال عليه السلام : « إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا ، وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا ، وكل له فضل ، قال : قلت له : وسّع عليّ في الجواب ، فإنني والله ما سألتك إلا مرتاداً ، فقال عليه السلام : نحن من شجرة طيبة برأنا الله من طينة واحدة ، فضلنا من الله ، وعلمنا من عند الله ، ونحن أمانؤه على خلقه ، والدعاة إلى دينه ، والحجاب فيما بينه وبين خلقه ، أزيدك يا زيد ؟ قلت : نعم ، فقال : خلقنا واحد ، وعلمنا واحد ، وفضلنا واحد ، وكلنا واحد عند الله تعالى .. أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد »^(١).

فهم عليه السلام من هذه الجهة يتساوون في كل شيء ، لهم نور واحد ، وطينة واحدة .. ؛ لأنهم أبدال وأمثال لبعضهم البعض كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أنا من رسول الله كالضوء من الضوء »^(٢) ؛ أي : كالسراج الواحد إذا أشعلت منه سراجاً ثانياً كان مثله ، ثم

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٥ ص ٣٦٣ ب ١٢ / أنه جرى لهم من الفضل والطاعة مثل ما جرى

لرسول الله ﷺ وأنهم في الفضل سواء ح ٢٣ .

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - محمد الريشهري : ج ٨ ص ١٩٦ ح ٣٥٩٤ .

أشعلت من الثاني سراجاً ثالثاً فهو كالأول والثاني لا فرق بينهم أبداً، كما قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «أولنا كآخرنا، وآخرنا كأولنا»^(١).

ويتفاضلون ﷺ^(٢) إذا نظر إلى حقيقتهم الواحدة من جهة ترتبهم الذاتي في أصل التكوين. فإنهم ﷺ وإن لهم حقيقة واحدة؛ إلا أنهم يتفاضلون في درجات قربهم من المبدأ في معرفة الله سبحانه وتعالى، وفي ترتب بعضهم على بعض.

فللنبي الأعظم محمد ﷺ التقدم الذاتي عليهم رتبة - أي: خلق نوره أولاً -، ثم وصيه أمير المؤمنين ﷺ ثانياً، ثم الإمام الحسن ﷺ ثالثاً، ثم الإمام الحسين ﷺ رابعاً، ثم الإمام القائم ﷺ خامساً، ثم الأئمة الثمانية ﷺ سادساً، وأخيراً أمهم السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ لأنها الصورة المظهرة لحقيقتهم جميعاً.. ويعبرون عن هذه الجهة بقولهم ﷺ: بعضنا أعلم من بعض، أو بعضنا أفضل من بعض.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٦ ب ٦ / تفضيلهم ﷺ على الأنبياء... ص ٣١٦ ح ٧٩.

(٢) كما مر في حديث زيد الشحام قال الإمام ﷺ: «وكل له فضل».

أما ناحية الأفضلية العارضة على بعضهم دون بعض ؛ كتقدم ظهور بعضهم على بعض في هذا العالم ، وأغلبية صفة من الصفات في حالة من الحالات ، أو راجحية التقدم لبعضهم في موطن من المواطن - أو غير ذلك من جهات ظن البعض أنها جهات تفاضل بينهم ؛ كطول العمر ، وكثرة العبادة - ؛ فليس فيها دلالة على أفضلية أو دونية ؛ لأن مناط التفاضل بينهم ما كان في حقيقة ترتبهم الذاتي في درجات أنفسهم في أصل الخلقة من حيث إن كل سابق أفضل من لاحقه ، وفيما يختصون به من معرفة الله^(١).

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ٣٤٩
 وص ٣٦٤. ٣٦٦. مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين : ج ١ ص ٣٩٨-٤٠٠.

الإشراق التاسعة عشرة

هل تعلم..

لماذا جعل النبي الأعظم محمد صلی اللہ علیہ وسلم وأهل بيته
عليهم السلام الواسطة في تلقي الفيض وتوزيعه على
المخلوقات؟

تخيل لو أنك ألقيت كرة صغيرة هشة المادة - ولتكن مصنوعة من الطين مثلاً - في شلال يتدفق مأؤه بقوة وسرعة هائلة ، فحتماً أن مادتها ستتحول إلى فتات مباشرة ؛ لعدم قدرتها على صد سيل الماء العارم.

والأمر هو كذلك - بأبسط صورة - في مسألة الفيض الإلهي ، فلو أغضضنا النظر عن مسألة استحالة مباشرته سبحانه وتعالى لخلقه ؛ فسوف يبقى لدينا أمرٌ آخر ، وهو أن مواد جميع المخلوقات ليس لقابليتها استعداد يمكنها من التلقي المباشر منه سبحانه وتعالى .

ولضعف استعداد قابلياتهم ، واحتياجهم إلى المدد منه سبحانه وتعالى في كل آن ؛ لأن بقاءهم بإبقائه لا ببقائه ، اقتضت الحكمة منه سبحانه وتعالى جعل واسطة بينه وبين خلقه .

فاتخذ لنفسه واسطة من خلقه .. ميزهم في تكوينهم إذ خلقهم قبل أن يخلق جميع مخلوقاته ، وجعل لقابلية حقائقهم القدرة على تلقي الفيض الإلهي منه مباشرة ، وإيصاله إلى الضعفاء المحتاجين من خلقه .

وهؤلاء الخلق هم النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام،
فعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي
الباقر عليه السلام - في حديث طويل -

«يا محمد أنت حبيبي وخليلي وصفيي وخيرتي من خلقي، أحب
الخلق إلي، وأول من ابتدأت من خلقي، ثم من بعدك الصديق علي
بن أبي طالب أمير المؤمنين وصيك، به أيدتك ونصرتك، وجعلته
العروة الوثقى، ونور أوليائي، ومنار الهدى، ثم هؤلاء الهداة
المهتدون، من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت، فأنتم خيار خلقي
وأحبائي وكلماتي وأسمائي الحسنى وأسبابي وآياتي الكبرى وحجتي
فيما بيني وبين خلقي، خلقتكم من نور عظمتي، واحتجبت بكم
عمن سواكم من خلقي، أستقبل بكم، وأسأل بكم، فكل شيء
هالك إلا وجهي، وأنتم وجهي»^(١).

وهنا قد يقال: ما هو الدور الذي يقومون به ﷺ في عملية
تلقي وإيصال الفيض الإلهي؟

(١) حلية الأبرار - السيد هاشم البحراني: ج ١ ص ١٦ ب ٢ / في شأن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليه السلام في
أول الأمر ح ٢.

فهل لهم ﷺ دور الوساطة المحضة؟

بمعنى أنه لا تدخل لهم في التصرف بالفيض الإلهي ، وشأنهم فيه كشأن الأنبوب الذي يقوم بحمل الماء من مكان إلى مكان من دون إحداث تصرف في الماء.

إذا كان الأمر هكذا.. فلا معنى لاتخاذ سبحانه وتعالى واسطة بينه وبين خلقه ؛ لأننا لن نكون قادرين على تلقي الفيض حتى في هذا الحالة ؛ وذلك لأن الفيض لا يزال فوق ما تتحمله طاقة استعداد قابلياتنا.

والحق ، أن لهم ﷺ أدواراً متعددة في وساطتهم ، وما يتعلق بهذا النوع من الوساطة - أي : ما يتعلق بوساطة الفيض الإلهي - هو دور الترجمة كما ورد في الزيارة الجامعة : «وترجمة لوحيه»^(١).

كيف ذلك؟

حينما يتلقون ﷺ الفيض منه سبحانه وتعالى ، فإنهم من جهة يقومون بتخفيفه ليكون صالحاً لقابلية كل مخلوق بحسبه رتبته ، ومن

(١) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي : ص ٦٥٢ ف/الزيارات الجامعة/ الزيارة الثانية.

جهة أخرى يقومون بتهيئة استعداد القابليات وإصلاحها لقبول الفيض منهم ﷺ.

ومثال الأول: الأم وغذاء الجنين في بطنها، فإن الأم تأكل الطعام الذي لا يقبله الجنين على وضعه، فيقوم جسمها بتخفيفه بالطحن والسحق حتى يستحيل دماً صالحاً لتغذيته.

ومثال الثاني: المعلم والتلميذ، فإن المعلم لا يخفف المعلومة الثقيلة على قابلية ذهن التلميذ بالشرح والتبسيط فحسب؛ بل ويقوم بإصلاح قابليته وعمارتها لتكون مستعدة لقبول المعلومة، وهو ما يسمى بالتربية.

فوساطتهم ﷺ في تلقي وإيصال المدد ليست وساطة محضة، بل مشتملة على نحو من أنحاء التصرف (بالإذن والمدد منه لا بالاستقلال عنه سبحانه وتعالى)^(١).

(١) رسالة في جواب الميرزا إبراهيم الشيرازي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ١٢ ص ٢٤-٢٥.

الإشراقة العشرون

هل تعلم..

أن للنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام القدرة على الخلق والرزق والإحياء والإماتة؟

حينما تضع بذرة في الأرض وتسقيها وتنبت نبتة ثم تحصدها
جميعنا يقول: بأن من زرعها وسقاها وحصدها هو أنت...
وزراعتك لهذه البذرة هو خلق لها ، وسقيك الماء هو رزق لها ،
وحصادك هو إماتة لها.

ولكن.. هل أنت حقيقة من خلقها ورزقها وأماتها ؛ أم أن الله
سبحانه وتعالى هو من فعل ذلك؟

في الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي ، وما أنت
إلا مجرد سبب تسبب في خلق النبتة ، ورزقها!
والأمر هو كذلك حينما يقال: بأن أهل البيت عليهم السلام لديهم
القدرة على الخلق والرزق والإحياء والإماتة.

فإن الله سبحانه وتعالى لا يفعل ما شاء بذاته ، بل بفعله
ومفعوله ؛ لأن ذاته لا توصف بالفاعلية ولا بالخالقية ، ولا بغير ذلك
من الصفات الفعلية لصحة السلب ، إذ لو كانتا (الفاعلية والخالقية)

من الصفات الذاتية لكانتا عين ذاته بلا فرق ، وسلبهما يستلزم نفي الذات ، إذ لا معنى للصفة الذاتية إلا الذات لا غير.

والمقصود من أنه يفعل ما شاء بفعله ومفعوله :

أما بفعله ؛ لأنه إذا أراد شيئاً أحدثه من غير حركة ولا روية ولا تفكر ، ولا غير ذلك مما يجري على الخلق.

وأما بمفعوله ؛ لأنه يفعل بما شاء من مفعولاته ما شاء من صنعه ، فإذا شاء أن تنبت الأرض ، خلق الأرض والماء بفعله ، وخلقك لتزرعها ؛ فالفاعل هو الله سبحانه وتعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(١) أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ^(٢) ، وما أنت وغيرك من المفعولات التي هيئها لك لتزرع الأرض كالمطر مثلاً ؛ إلا أسباباً ووسائط لظهور ما شاء من مشيئته.

وكذلك كونهم ﷺ العلة الفاعلية ، فإن الله عز وجل أظهر فعله فيهم وبهم ؛ لأنهم محال فعله ، فهو فاعل بهم ، وهم بفعله فاعلون كما قال تعالى : ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الواقعة : (٦٤-٦٣).

(٢) سورة الأنبياء : (٢٦-٢٧).

فحينما يقال بأن الله سبحانه وتعالى فاعل بهم ﷺ ؛ أي : إنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت بهم ، وغير ذلك من أفعاله الظاهرة في خلقه ؛ فما ذلك إلا أنهم أسباب وآلات اتخذها لنفسه لإظهار ما يشاء من إحاء ربوبيته وولايته.

وحينما يقال : بأنهم ﷺ فاعلون ؛ أي : الخالقون والرازقون والحيون والمميتون ؛ فما ذلك إلا أن الفاعل يطلق ويراد به الذات ، ويطلق ويراد به السبب والواسطة.

فتارة تقول الله زرع الزرع ، وتارة تنسب ذلك إلى نفسك ، فتقول أنا الذي زرعه ، وأمثال ذلك كثير في القرآن ، ومنها : قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١) ، وقوله : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٤).

(١) سورة الزمر : (٤٢).

(٢) سورة النحل : (٢٨).

(٣) سورة فاطر : (١٥).

(٤) سورة التوبة : (٧٤).

وكما أنك تعلم بالبدية أنك لم تفعل ما فعلته إلا بأمر الله عز وجل ،
وإذنه ومدده ، فكذا الأمر معهم ﷺ .

فإنهم فاعلون بمثل ذلك لا بالاستقلال عنه عز وجل ، ولا باعتزاله
عنهم أو عن فعلهم ، ولذا قال الإمام السجاد عليه السلام : « اخترعنا من
نور ذاته ، وفوض إلينا أمور عبادته ؛ فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن
إذا شئنا شاء الله ، وإذا أردنا أراد الله ، ونحن أحلنا الله ﷻ هذا المحل ،
واصطفانا من بين عبادته ، وجعلنا حجته في بلاده »^(١) .^(٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٦ ص ١٤ ب ١٣ / نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية

ح ٢.

(٢) تراث الشيخ الأوحى "شرح الزيارة الجامعة" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٤ ص ٥٨.

الإشراقة الواحدة والعشرون

هل تعلم..

لماذا لا يظهر لنا النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وأهل بيته عليهم السلام بحقائق صورهم النورانية؟

لكل عالم صورة تلاءم شخصاته.. فلعالم العقول صورة
جوهرية مجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، ولبرزخ عالم المثال
صورة مثالية، ولعالم الشهادة صورة عنصرية بشرية، ولعالم البرزخ
صورة برزخية.. إلخ.

من هنا.. كان الملك جبرئيل عليه السلام حينما ينزل على النبي ﷺ
يلبس صورة تلائم نزوله في هذا العالم، فيتصور بصورة دحية الكلبي
لأن الصور البشرية العنصرية هي مقتضى الظهور في عالمنا، ولو ظهر
بكامل صورته الملائكية فلن تسعه الأرض.

وإذا كان هذا أمر حقيقة صورة جبرئيل عليه السلام المخلوقة من شعاع
أنوارهم عليهم السلام؛ فما بالك بالنسبة إلى حقائق صورهم؟
فمن الثابت أن للنبي الأعظم محمد ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام
حقيقة نورانية في أصل التكوين كما ورد في الزيارة الجامعة: «خلقكم
الله أنواراً فجعلكم بعرضه محدقين»^(١).

(١) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي: ص ٦٥٣ ف/الزيارات الجامعة/ الزيارة الثانية.

وقد ظهوروا لنا ﷺ بالصورة البشرية لمقتضيات كثيرة في الحكمة الإلهية، ومنها:

أولاً: لو ظهوروا لنا ﷺ بحقائق صورهم النورانية الإلهية - أو لو أظهرهم الله سبحانه وتعالى - لما استطاعت هذه الأرض أن تسعهم؛ لأنهم الأصل وهي الفرع المخلوق من شعاع أنوارهم.. وكيف يسع الفرع أصله؟!

وثانياً: ظهوروا لنا ﷺ بالصورة البشرية ليستطيع الخلق رؤيتهم والأخذ منهم ﷺ.

إذ لو أظهرهم سبحانه وتعالى بحقيقة حقائقهم النورانية التي خلقهم عليها لمات الخلق وفنوا من شدة نورانيتهم ﷺ، وبذلك تنتفي حكمته في جعلهم الواسطة في إيصال الفيوضات الإلهية؛ لعجز الخلق عن مشاهدتهم، والتلقي منهم.

ولذا قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) - في حقيقة النبي الأعظم محمد ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام): «ظاهرهما بشرية، وباطنهما لاهوتية، ظهرا للخلق على هياكل الناسوتية^(١) حتى يطبقوا

(١) الناسوت: الطبيعة البشرية. ويقابله اللاهوت: بمعنى الإلهوية.

رؤيتهما ، وهو قوله : ﴿وَلَبَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ، فهما مقام رب العالمين ، وحجاب خالق الخلائق أجمعين^(١).

وثالثاً : ظهوروا لنا ﷺ بالصورة البشرية ليكون القبول ممن هو على هيئة هياكلنا أكمل وأتم في إقامة الحجة علينا ؛ لأن المعلم إذا كان من نوع المتعلم كان أمكن له في التعلم منه ، وفي فهم مقاصده ومراداته ، وغير ذلك.

من هنا قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الذين أنكروا على النبي الأعظم محمد ﷺ : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢) ؛ فقال في جوابهم : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(٣).

فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الأرض لو كان فيها ملائكة لأنزل عليهم رسولاً من جنسهم ، وحيث إن الذين فيها من صنف البشر أنزل عليهم رسولاً وأظهره بصورتهم ليحصل مراده

(١) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني : ج ٤ ص ١٩٢ سورة الشعراء ٧٦٠/٧.

(٢) سورة الإسراء : (٩٤).

(٣) سورة الإسراء : (٩٥).

وهو تبليغهم فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾^(١)؛ بل وبلسانهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٢).^(٣)

(١) سورة الأنعام: (٩).

(٢) سورة إبراهيم: (٤).

(٣) رسالة في جواب الشيخ محمد بن عبد الجبار القطيفي "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٢ ص ٢٥٣-٢٥٥. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٤ ص ٤٥. رسالة في العصمة والرجعة "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٤ ص ٧٧.

الإشراقة الثانية والعشرون

هل تعلم..

لماذا يأكل ويشرب الإمام المعصوم عليه السلام السم
وهو يعلم به؟

من الثابت قطعاً أن ما منهم عليه السلام إلا مقتول أو مسموم، فعن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه، وبين يديه طشت يقذف فيه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية لعنه الله، فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال:

«يا عبد الله، بماذا أعالج الموت؟! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم التفت إليّ وقال: والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، ما منا إلا مسموم أو مقتول»^(١).

وقد يقال: أليس في أكل أو شرب الإمام المعصوم عليه السلام للسم مع علمه به إلقاء نفسه في التهلكة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢)؟!

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤ ص ١٣٨ ب ٢٢ / جمل تواريخه وأحواله.. ح ٦.

(٢) سورة البقرة - الآية: (١٩٥).

والجواب: إن الأمر ليس كذلك قطعاً؛ لأن إلقاء النفس في التهلكة يكون في حين وجود القدرة على الامتناع، أما مع عدمها فلا.

ولذا لا يمكن أن يقال عن فعل الإمام الحسن عليه السلام بأنه انتحار؛ لأن قتله مسموماً من المقدرات الإلهية - لحكم ربانية - التي لا يمكن الفرار منها أو الامتناع عنها، ولذا قال عليه السلام: «والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

والأمر هو كذلك في خروج أخيه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع أهل بيته وأصحابه؛ فلا يمكن أن يقال عن ذلك انتحار أيضاً؛ لأن القوم كانوا يطلبونه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

ولذا قال عليه السلام - لأم سلمة حينما أخبرته بما سمعت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أمر قتله في كربلاء -: «يا أماه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد»^(١)، فقد علم عليه السلام بأنه لا محال من قتله سواء خرج أو بقى بالمدينة، فلم يكن لديه القدرة على عدم الامتناع.. هذا من جهة.

(١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج ٤٤ ص ٣٣١ ب ٣٧/ ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد... ح ٢.

ومن جهة أخرى.. إن المعصوم عليه السلام يفعل ذلك مع علم و يقين منه ، كما روي عن إبراهيم بن أبي محمود عن بعض أصحابنا قال : قلت للرضا عليه السلام : الإمام يعلم إذا مات ؟ قال : «نعم ، يعلم بالتعليم حتى يتقدم في الأمر ، قلت : علم أبو الحسن بالرطب والريحان المسمومين اللذين بعث إليه يحيى بن خالد؟ قال : نعم ، قلت : فأكله وهو يعلم؟! قال : أنساه لينفذ فيه الحكم»^(١).

وما ذلك إلا امتثالاً وحباً لأمر الله سبحانه وتعالى ؛ لأن حقائقهم المقدسة لما كانت محل مشيئته عز وجل وإراداته ، اندكت وتلاشت واضمحلت إنية إرادتهم في إرادته عز وجل ، ومشيتهم في مشيئته ، فلا يفعلون إلا ما شاء الله وأراد ؛ ولا يعد هذا الامتثال صنفاً من صنوف إلقاء النفس في التهلكة أيضاً.

لماذا؟!!

لأن الأمر كما لو خرج الإمام القائم المنتظر عليه السلام ، وكنت أنت من أنصاره ، وأمرك بأن تذهب لقتال حشود من الظالمين ، ففي هذه الحالة

(١) بصائر الدرجات - الصفار : ص ٥٠١ ب ٩ / في الأئمة أنهم يعرفون متى يموتون ويعلمون ذلك قبل أن

يأتيهم الموت عليهم عليهم السلام ح ٣.

أنت تعلم بأن قتلك أمرٌ لا بُدَّ منه ؛ فهل تعتبر امتثالك لأمره ﷺ إلقاءً
لنفسك في التهلكة؟

إذا فهمت هذا المثال.. فسوف تدرك أن المعصوم عليه السلام كان يعلم
بالسم وبشهادته ؛ ولكنه لما أقبل على الحضرة الإلهية امتثالاً لأمره
سبحانه وتعالى - وانشغل بمحبة لقاء أسلافه - لم يلتفت إلى ما سواه ،
ومن جعلتها أكل السم... كما أنك لم تلتفت إلى نفسك لما أمرك
الإمام عليه السلام بالجهد حياً له وتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى بطاعته في
امتثال أمره^(١).

(١) تراث الشيخ الأوحى "الرسالة الطاهرية في جواب الملا محمد طاهر" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ١٠

ص ٣٦٤. تراث الشيخ الأوحى "رسالة في جواب الشاهزاده محمود ميرزا" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢

ص ٤٥٢-٤٥٣.

الإشراق الثالثة والعشرون

هل تعلم..

أنه لا محذور من عروج النبي الأعظم محمد
بجسمه وثيابه ونعله؟ صلوات الله
وسلامه

كثير هي تلك الأمور التي كانت مستحيلة في فترة زمانية ومكانية معينة ، ثم تحولت بعد ذلك إلى بديهيات يقبل ويقر بوجودها الجميع .
ففي زمن ما.. قالوا: بأن السحر هو كل فعل غريب خارق للعادة^(١) ، فاعتقد الكثير أن طيران الحديد - مثلاً - أمرٌ في مصاف المحالات ، ونوعاً من أنواع السحر ؛ ولما تقدم الزمن وتطور العلم أصبح طيران الطائرات المصنوعة من المعادن أمراً طبيعياً ، وحاجة من الحاجات العصرية عند البشر ، فلا يوجد اليوم من يقول بأن طيران الحديد أمراً مستحيلاً .

وفي زمن ما.. رفض الكثير فكرة اختراق الفضاء ؛ لأن إمكان ذلك يقتضي وجود التماثل بين الأجسام ، وها هي اليوم المركبات الفضائية تسبح في الفضاء الواسع مع أن جسمها مصنوع من المعادن .
وعلى هذا المنوال جاء اعتراض المنكرين - في زمان النبي الأعظم محمد ﷺ - على معجزة المعراج ؛ فإن أصل اعتراضهم يعود إلى

(١) المكاسب - الشيخ الأنصاري : ج ١ ص ٢٦١ .

شبهة أطلق عليها "بشبهة الخرق والالتئام" .. قالوا فيها : بأنه ليس هناك تماثل بين جسمه الشريف وجسم طبقات السماء ؛ وعلى ذلك : فكيف يمكن لجسمه اختراق تلك الطبقات في صعوده ؟

وكيف يمكن التئامها بعد عودته ؟

والحق ، أن هذه الشبهة مردودة جملة وتفصيلاً ، ولا يمكن التعويل عليها أو على غيرها في رد معجزة المعراج .

فبغض النظر عن الأدلة النقلية التي تؤكد عروجه عليه السلام بجسمه وثيابه ونعله ، لو نظرنا إلى ما تمليه أبسط الأدلة الحكيمة ؛ لحكمنا بضرورة ذلك الخروج من دون استلزام أي محذور من المحاذير ، ومنها :

أولاً : هناك نماذج من المخلوقات عُرج بها إلى السماء ، ولها حقيقة أقل شأنًا من حقيقته عليه السلام ؛ كنبى الله عيسى بن مريم عليها السلام ؛ فكما أنه بقدرته سبحانه وتعالى رفعه إليه ؛ أفلا يمكنه عز وجل رفع من هو أفضل منه ، وهو الذي قال فيه : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ^(١) ؟ !

بل إن هناك مخلوقات عرجت مرات كثيرة إلى السماء من دون لزوم خرق والتثام ؛ كالمملك جبرئيل عليه السلام ؛ فإذا كان الأمر ممكناً له ؛ أفلا يمكن ذلك للنبي الأعظم محمد عليه السلام الذي جسمه ألطف وأشد نورية من جسم جبرئيل ؟ !

وثانياً : إن العلة تؤثر في معلولها ولا عكس ، وقد ثبت أن النبي الأعظم عليه السلام - وأهل بيته عليهم السلام - هو علة الموجودات ؛ فعندئذٍ هل يستحيل عليه التأثير في المعلولات ؟ !

بمعنى آخر.. إذا كان كل ما في الوجود ومنها الفضاء والأفلاك قد خلق من شعاع نوره عليه السلام ؛ فمن يؤثر فيمن ؟ ومن هو أقوى من ؟ هل الأفلاك تؤثر فيه أو أقوى منه عليه السلام ، أم أنه عليه السلام هو الذي يؤثر فيها وأقوى منها ؛ لأنه عليه السلام إذا لم يستطع ذلك فما الفائدة من كونه علة لها ؟

وثالثاً : إن الصورة البشرية تابعة في لطافتها وكثافتها للجسم ، فإذا لطف الجسم لطف الصورة ورقت ، وإذا كثف كثفت وغلظت ؛ وإذا لطف الجسم أصبح حكمه كحكم الروح ؛ وبذلك يستطيع اختراق الأجسام الكثيفة ، والضيقة كثقب الإبرة ، وقطع المسافات في

طرفة عين.. وقطعاً، ليس في عالم الوجود الممكن من له جسم ألطف من جسمه ﷺ؛ بل إن نعله وثيابه لم يعرج بهما إلا بسبب التصاقهما بجسمه اللطيف، وتلطفهما به.

رابعاً: إن الجسد منه أصلي لطيف، ومنه عرضي كثيف مخلوق من عناصر عالم الدنيا، وأنه ﷺ صعد بالأصلي اللطيف لا بالعرضي الكثيف ليلزم الخرق والالتئام؛ أي: إنه ﷺ في صعوده ألقى عناصر العرضي عند كل رتبة من مراتب عناصره، فإذا مر على كرة الهواء ألقى ما منه فيها، وإذا مر على كرة الماء ألقى ما منه فيها.. وفي نزوله أخذ ما له من كل رتبة ما ألقى فيها.

ولا يقال: على هذا تبطل بنيته فيكون العروج روحانياً لا جسمانياً؟

بل هو جسماني لا روحاني؛ لأن البنية قائمة بالذوات (الجسد الأصلي) لا بالأعراض (الجسد العرضي)، وهو لم يصعد بالعرض لأن كل شيء لا يستطيع تجاوز رتبة مبدئه، والجسد العرضي مخلوق من عناصر هذه الأرض^(١).

(١) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد الأحسائي" - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ٩ ص ٣٥٦.

الإشراقة الرابعة والعشرون

هل تعلم..

لماذا سمي أمير المؤمنين علي عليه السلام بعليّ؟

لم يُسمَّ أحد من ولد آدم باسم علي قبل أمير المؤمنين عليه السلام ، لا في العرب ولا في العجم.

وبالرغم من أن المصادر مختلفة فيمن سماه عليه السلام علياً ، ففي خبر: أن فاطمة بنت أسد لما ولدت بأمر المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة وأرادت الخروج هتف بها هاتف ، يا فاطمة سميه علياً فهو علي ، والله العلي الأعلى يقول : إني شققت اسمه من اسمي ^(١) ، وفي خبر آخر: لما ولد عليه السلام وجد أبو طالب في الصباح التالي لوحاً أخضراً مكتوباً فيه :

الطاهر المتجرب الرضي	خصصمتا بالولد الزكي
علي اشتق من العلي ^(٢)	فاسمه من شامخ علي

إلا أن الاستفادة من جميعها أن اسمه عليه السلام توقيفي من الله سبحانه وتعالى ؛ أي : إن الله هو من اختار له هذا الاسم ، وسماه به .. هذا أولاً.

(١) الأُمالي - الشيخ الصدوق : ج ١ ص ١٦٥ ح ٩.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٣٥ ص ١٩ ب ١ / تاريخ ولادته وحليته وشماله عليه السلام ح ١٤ .

وثانياً: يستفاد منها أنه عليه السلام سمي بعلي قبل ظهوره في هذا العالم، كما روي عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر، لو يعلم الجاهل متى سمي أمير المؤمنين علي لم ينكروا حقه، قال: قلت جعلت فداك متى سمي؟

فقال لي: قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وأن محمداً نبيكم رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين»^(١).

والسر أو السبب في تسميته عليه السلام بعلي في أصل الخلقة؛ لأن الخلق لما كان يدور على الفعل الذي هو عالم الأمر (عالم الوجود المطلق)، وعلى المفعول الذي هو مجموع العوالم الثلاثة عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك، وهي مجموع عالم الخلق (عالم الوجود المقيد).

وكان عليه السلام في الأول - أي: في عالم الفعل - جامعاً لشؤونات المشيئة؛ لأنه محلها، وبه ظهرت آثارها من الولاية المطلقة التفصيلية، والهيمنة والسلطنة، وغير ذلك. وكان عليه السلام في الثاني - أي: في عالم

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ١ ص ٦٢ ب ١ / في معاجز الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ج ١٠.

الخلق - جامعاً لأطوار الخلق ؛ لأنه الباب الذي يفيض عن الله سبحانه وتعالى الفيوضات إلى محالها ومواقعها ؛ وجب أن يكون في اسمه الشريف حروفاً دالة على حقيقته النورانية ؛ للمناسبة الذاتية بين الأسماء ومعانيها.

وبما أن عالم الأمر يعبر عنه بـ(كن)، وله من العدد سبعون في حساب الجمل : الكاف : (٢٠)، والنون : (٥٠)، واستنطاقهما (مجموعهما ٢٠ + ٥٠) يساوي : (٧٠)، وللعدد سبعين العين في حساب الجمل ؛ صار العين في حروف اسمه الشريف للدلالة على حقيقته ^{العلوية} في عالم الأمر.

وبما أن عالم الخلق للمفعول، وللمفعول جهتان : الأولى : جهة القابل، وهي ثلاثون مرتبة يعبر عنها بالقابليات، وهي دورات الشيء الثلاث التي دارت فيها قبضاته العشر ليستأهل لظهور الفيض : الدورة الجمادية، والدورة المعدنية، والدورة النباتية، فمجموع هذه الثلاث دورات في (ضرب) العشرة القبضات هو ثلاثون دورة. والثانية : جهة المقبول، وهي عشر مراتب يعبر عنها بالمقبولات، أو بالقبضات العشر، وهي : القلب، والصدر،

والعقل، والعلم، والوهم، والوجود الثاني، والخيال، والفكر،
والحياة، والجسد.

واستنطاق الثلاثين (القابليات) في حساب الجمل هو اللام،
واستنطاق العشرة (المقبولات) هو الياء؛ جيء باللام والياء في اسمه
الشريف للدلالة على حقيقته عليه السلام في عالم الخلق.

عالم الخلق		عالم الأمر
المقبولات	القابليات	الفعل (كن)
١٠	٣٠	٧٠
ي	ل	ع

وتقدم حرف العين على جميع حروف اسمه الشريف؛ لتقدم
عالم الأمر، وتقدم حرف اللام على حرف الياء؛ لتقدم القابل على
المقبول^(١).

(١) رسالة في جواب الملا كاظم المازندراني "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ١٢ ص ٥١٦-٥١٥.

الإشراقة الخامسة والعشرون

هل تعلم..

لماذا سمي يوم عيد الغدير بيوم الميثاق ويوم
الولاية؟

تمر علينا أيام فضيلة طوال السنة ترتبط بالقضايا الدينية الإيمانية ،
ومن الأشياء الهامة التي ينبغي التعرف عليها ، هو حقيقة هذه الأيام
من باب أن لكل شيء حقيقة .. وإذا كان عيد الفطر هو عيد إتمام شهر
الصيام المفروض ، وعيد الأضحى هو عيد إتمام فريضة الحج
المفروضة ؛ فما حقيقة عيد الغدير إذاً ؟

فإنه أعظم الأعياد وأشرفها ؛ ولذا سمي بعيد الله الأكبر ، فقد
روي عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد ، عن أبي
عبدالله عليه السلام قال : « قلت : جعلت فداك ، للمسلمين عيد غير
العيدين ؟ قال : نعم يا حسن ، أعظمهما وأشرفهما ، قلت : وأي يوم
هو ؟ قال : هو يوم نصب أمير المؤمنين - صلوات الله وسلامه عليه -
فيه علماً للناس »^(١) .

وحقيقة هذا اليوم .. هو أن ما حدث بغدير خم في اليوم الثامن
عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة ، وهو تنصيب

١ الكافي - الشيخ الكليني : ج ٤ ص ١٤٨ ك / الصيام ب ١٩ / صيام الترغيب ح ١ .

أمير المؤمنين علي عليه السلام ولياً وخليفة من قبل النبي الأعظم محمد عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى ، حيث أخذ عليه السلام بيده عليه السلام ، وقال : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وآل من وآله ، وعاد من عاداه ، واخذل من خذله ، وأنصر من نصره»^(١).. قد حدث سابقاً في عالم الذر.

فإن الله سبحانه وتعالى خلقهم عليهم السلام أولاً قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق كافة المخلوقات من شعاع أنوارهم عليهم السلام ؛ فكانوا - أي : المخلوقات - مجرد حصص نوعية غير متميزة ؛ أي : لم يكن هناك إلا حصة إنسانية ، وحصة نباتية ، وحصة حجرية .. إلخ.

فلم يكن في ذلك الموقف إنسان مؤمن أو إنسان منافق ، ولا شجر مؤمن أو شجر منافق ، ولا حجر مؤمن أو حجر منافق ؛ وإنما الجميع سواسية في الصلوح ؛ أي : في إمكان قبول الطاعة ، وإمكان قبول المعصية.

ولما عرض الله سبحانه وتعالى عليهم الولاية بلسان داعيّه : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ محمد عليه السلام نبيكم؟ علي عليه السلام وليكم وإمامكم؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٣٧ ص ١٢٦ ب ٥٢ / أخبار الغدير .. ح ٢٤ .

خُلِقَتْ طِينَةٌ مِنْ قَبْلِ بَوْلَايَتِهِ عليه السلام مِنَ الْجَنَّةِ، وَخُلِقَتْ طِينَةٌ مِنْ لَمْ يَقْبَلُهَا مِنَ النَّارِ، فَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنِ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّا وَشِيعَتُنَا خَلَقْنَا مِنْ طِينَةِ عَلِيِّينَ، وَخَلَقَ عَدُوْنَا مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ»^(١).

فَتَمَازَيْتَ تِلْكَ الْحَصَصَ النَّوْعِيَّةَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ بِحَسَبِ قَبُولِهَا وَإِنْكَارِهَا لِمِيثَاقِ وَلَايَتِهِ عليه السلام؛ فَصَارَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ مُؤْمِنٌ وَإِنْسَانٌ مُنَافِقٌ، شَجَرٌ مُؤْمِنٌ وَشَجَرٌ مُنَافِقٌ، حَجَرٌ مُؤْمِنٌ وَحَجَرٌ مُنَافِقٌ.. إلخ، فَقَدْ رَوَى عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ نَعِيمٍ الصَّحَافِ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ: «فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ»، فَقَالَ: «عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيْمَانَهُمْ بِوَلَايَتِنَا، وَكَفَرَهُمْ بِتَرْكِهَا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ وَهُمْ ذَرٌّ فِي صَلْبِ آدَمَ عليه السلام»^(٢).

كَمَا تَمَازَيْتِ الْمُسْلِمُونَ فِي يَوْمِ غَدِيرِ خَمٍ بِوَلَايَتِهِ عليه السلام أَيْضاً، فَمَنْ قَبِلَهَا صَارَ مُؤْمِناً مَحَبَّاً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَمَنْ أَنْكَرَهَا صَارَ مُنَافِقاً مَبْغُضاً لَهُ؛ لِأَنَّ مَا يَحْدُثُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ هُوَ عَيْنُ مَا حَدَثَ فِي عَالَمِ

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥ ص ٢٢٥ ب ١٠ / الطينة والميثاق ح ٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥ ص ٢٣٤ ب ١٠ / الطينة والميثاق ح ٨.

الغيب، ولذا قال الإمام الرضا عليه السلام: «قد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما ههنا»^(١)؛ فيتوصل إذاً إلى كيفية ما هنا بكيفية ما هناك.

فسمي عيد الغدير بيوم الميثاق ويوم الولاية؛ لأن حقيقة قبول المؤمن لولايته عليه السلام هنا، هو قرار تقريره لميثاق ولايته عليه السلام في عالم الذر، وحقيقة إنكار المنافق المبعوض لولايته عليه السلام هنا، هو أيضاً قرار تقريره لعدم قبول ولايته عليه السلام هناك، كما حدث في الإقرار في ميثاق النبوة، فقد ورد عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمداً عليه السلام، فممنهم من آمن به، وممنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فأمن به من كان آمن به في الأظلة، وجحدته من جحد به يومئذ، فقال: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ﴾»^(٢).^(٣)

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز الله عطاردي: ج ٢ ص ٩٠ ك / الاحتجاجات ب ١ / احتاجه مع الزنادقة وأهل الأديان ح ٤.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥ ص ٢٥٩ ب ١٠ / الطينة والميثاق ح ٦٤.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٢ ص ٦٨ و ص ١٥٥-١٧٦. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحاد الأحسائي" - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٢ ص ٥٢.

الإشراقة السادسة والعشرون

هل تعلم..

لماذا يستجاب الدعاء تحت قبة سيد الشهداء
الإمام الحسين عليه السلام؟

لقد اختص سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بعدد من الخصوصيات ، ومنها استجابة الدعاء تحت قبته كما روي عن محمد بن مسلم أنه قال : سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان : «إن الله تعالى عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته ، والشفاء في ترتبه ، وإجابة الدعاء تحت قبته ، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً»^(١).

وقد نال عليه السلام هذه الخصوصية ؛ لأن النبي الأعظم محمداً صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته عليهم السلام لما كانوا السابقين في إجابة ربهم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾^(٢) في عالم الذكر والإمكان ، خلقهم الله سبحانه وتعالى قبل كل شيء في عالم الوجود والأعيان ، وجعلهم أصل كل خير ونور كما ورد في الزيارة الجامعة : «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»^(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٨ ص ٦٩ ب ١٠ / جوامع ما ورد من الفضل في زيارته عليه السلام ح ٢.

(٢) سورة الأعراف : (١٧٢).

(٣) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي : ص ٦٥٦ ف / الزيارات الجامعة / الزيارة الثانية.

فلما رأى الخلق الواقفون في عالم الذر ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من الفضل والكرامة لسبقهم في الإجابة التكوينية ؛ أجاب بعضهم ببلى لما سمع نداء داعيه : أليس محمد عليه السلام نبيكم ، وعلي عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده والصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام أنتمكم وأوليائكم؟ ... فطابت كينوناتهم بإجابتهم.

وبعضهم أنكر لما سمع ذلك النداء ، وأضرمر عداوتهم وبغضهم حسداً وغيظاً على ما أتاهم إياه سبحانه وتعالى ؛ فخبت كينوناتهم الخطيئة إنكارهم وعنادهم.. ولما تشعبت ظلمتهم حتى استولت على عالم الذر ، نادى منادي الحق : يا آل محمد ، من فيكم يتصدى لإذهاب هذه الظلمات ، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى على جهة المظلومية والمقهورية؟

فلبى الإمام الحسين عليه السلام ذلك النداء على وجه الخضوع والخشوع في ذلك العالم ، كما لباه في عالم الدنيا ، ففدى نفسه وأهل بيته وأصحابه لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.. ولتلبيته ذلك النداء أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن جعله أصل ومظهر كل خشوع وخضوع في دائرة الوجود.

ولكونه عليه السلام أصل ذلك ؛ فإنه يستجاب دعاء كل من دعا تحت
قبته عليه السلام ؛ لأمرين :

الأول : إن الدعاء نوع انفعال ، إذا توفرت علته أو توفّر شرطه
اقتضى انفعال فعل الداعي تحقق الإجابة ؛ كالمطر - مثلاً - لا ينزل إلا
إذا توفرت السحب الصافية لا السحب المكثفة الداكنة ، وكالدخان لا
يخرج إلا من الحطب المحترق لا من الحطب اليابس .

ولما كان الخضوع والخشوع من أهم شروط الدعاء ، أو علة تحقق
الإجابة ، وهو عليه السلام أصل ذلك ، استلزم الأمر تحقق إجابة كل من
دعا تحت قبته عليه السلام .

الثاني : لأن علة تحقق الإجابة ، أو توفر الشرط من قبل الداعي -
وهو الخضوع والخشوع - ، يشتد من تأثير تابعيته وقربه للأصل ، إذ إنه
كلما قرب الشيء من مبدئه وأصله كان أكثر ظهوراً ومشابهة له في
تجليه . ولما كان عليه السلام أصل ذلك ، استلزم الأمر تحقق إجابة كل من
دعا تحت قبته عليه السلام .

ولكن .. لا بُدّ أن ندرك بأن استجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام
يستلزم أيضاً أمراً هاماً ، وهو إحاطة الداعي بالمقام النوراني لأصل

ومظهر الخضوع والخشوع، وهو الإمام عليه السلام، والإقرار كذلك بفضله، وما له من حق من عند الله سبحانه وتعالى؛ ولذا ورد في زياراتهم: (عارف بحقكم، مقر بفضلكم)^(١).^(٢)

(١) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي: ص ٦٥٤ ف/الزيارات الجامعة/ الزيارة الثانية.

(٢) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٩ ص ٣٧٠. أسرار

الشهادة - السيد كاظم الرشتي: ص ٤٦-٥٤ وص ٦٥.

الإشراقة السابعة والعشرون

هل تعلم..

لماذا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا
يتسابقون إلى الموت من أجله؟

جميعنا يعلم بقصة نبي الله يوسف عليه السلام مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن حينما عبر بجانبهن ولم يشعرن بالألم إلا حينما غاب عنهن ووقعت أنظارهن على سيل الدماء ، ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(١) .. إنها وهلة قصيرة فقدن فيها شعور الطبيعة الجسدية بالألم.

ولكن .. هل من الممكن أن تستمر هذه الحالة لمدة أطول ، ويكون لها نتائج أكبر حتى من تقطيع الأيدي ؟
نعم .. يمكن أن يحدث ذلك في مواطن ، منها ما يتعلق بالأمور الطبيعية كبعض العلاجات ، كما يحدث اليوم في العمليات الجراحية ، ومنها ما يتعلق بالأمور المعنوية كدواعي التفات الإنسان إلى أحد الأجزاء التي تتركب منها في أصل الخلقة ، وهما : الوجود ، والماهية .

فإن أي داع من دواعي الطاعة يجعل الإنسان مندكاً في جزء وجوده، فلا يشعر عندئذٍ بمشقة ثقل أو طول أي طاعة يقوم بها جسده؛ لأن الوجود يستمد من الطاعات، والعكس مع دواعي المعصية، فإنها تجعل الإنسان مندكاً في جزء ماهيته، فلا يشعر عندئذٍ بمشقة ثقل أو طول أي معصية يقوم بها جسده؛ لأن الماهية (النفس الأمارة بالسوء) تستمد من المعاصي.

وأبسط مثال على تلك الدواعي هو المحبة، وأبرز مصداق يمكن أن يرى من خلاله تأثير المحبة على جسد الإنسان هو ما حدث في يوم عاشوراء!

فالجميع كانوا يعرفون الإمام الحسين عليه السلام حينما خطب فيهم قائلاً: أنسبوني من أنا؟

كانوا يعرفون أن جده النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وأباه الوصي علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة الزهراء سيدة الخلق أجمعين عليها السلام.. ولكنهم انقسموا إلى صنفين آنذاك:

الصنف الأول: من آثر حب المطامع الدنيوية التي وعد بها يزيد بن معاوية على حبه عليه السلام ونصرته، فاندك في جزء ماهيته، ولم يتوان

جسده عن أي فعل قبيح تطوعه له النفس الأمارة بالسوء ؛ كقتل أولاده وأصحابه - رضوان الله تعالى عليهم - ، وقتله عليه السلام ، وسحق جسده الطاهر بسنابك الخيل ، ورفع رأسه على القنا.. وسبي نسائه وأولاده ، وغير ذلك من الأعمال الشنيعة التي افتقدت حتى شعور الطبيعة الإنسانية.

الصنف الثاني : من عرفه عليه السلام بالمعرفة النورانية ؛ أي : عرف بأنه العنوان والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، ووجه سبحانه وتعالى وجنبه ويده ، وبابه الذي منه يؤتى ، وحجته وخليفته على جميع خلقه ؛ فأثر حبه على حب كل شيء ، وانصرف إلى نصرته ؛ لأن إنيته اندكت في جزء اعتباره من ربه (وجوده) ، فبلغ مرحلة فناء المحبة الإلهية معه عليه السلام ، وهي المرحلة التي تكون فيها جميع الحركات والسكنات مستغرقة في التفاتها إلى ما يحبه الله عز وجل ، ويرضاه من طاعته.

وهذا ما جعل عابس بن أبي شبيب الشاكري يرمي درعه وسلاحه في ذلك اليوم ويقول - حينما سألوه ماذا تفعل ؟ - : حب الحسين أجنني.

وجعل جميع أصحابه عليه السلام يتسابقون إلى الموت لأجله رغم تلك الحشود المؤلفة ؛ لأنه لم يكن لديهم أي التفاتة إلى أنفسهم أو أجسادهم ، أو إلى أي حال يموتون عليها .

بل وصلت مرحلة فنائهم في حبه عليه السلام إلى درجة أنهم لم يحسوا بألم ما قتلوا به من سيوف ورماح وغيرها ، ولهذا قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإمام الحسين عليه السلام : «يستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد»^(١) .

ولا يقال أن تضحياتهم تلك جاءت بعد أن كشف لهم عليه السلام عن مقاماتهم بعد الموت ، فإنه عليه السلام لم يكشف لهم عن ذلك إلا بعد اختبارهم ، ونجاحهم في هذا الاختبار لإيمانهم الذي ترتب على معرفتهم له بالنورانية^(٢) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥٣ ص ٦٢ ح ٥٢ ب ٢٩ / في الرجعة .

(٢) تراث الشيخ الأوحد "شرح الزيارة الجامعة" - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٣ ص ١٦ . أسرار الشهادة -

السيد كاظم الرشتي : ص ٧٥٧٣ . تراث الشيخ الأوحد "الرسالة البحرانية" - الشيخ الأوحد الأحسائي :

ج ١ ص ١٢٨ .

الإشراقة الثامنة والعشرون

هل تعلم..

ما سر أربعينية الإمام الحسين عليه السلام؟

إن إحياء أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ليس جارياً على مجرى مراتب لبس وخلع البشرية ؛ لأن المعصوم عليه السلام أسرع بكثير في خلع بشريته للطافتها المستمدة من أصل نورانيته ؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام : «ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء»^(١) ؛ وإنما للعدد أربعين أسرار عديدة منها ما تعلق بخصوصياتهم عليهم السلام .

فمن الثابت أن لحقيقتهم عليهم السلام نوراً واحداً ، لا فرق بين أولهم وآخرهم ، ولكن من جهة ترتب تلك الحقيقة يتفاضلون في القرب من المبدأ ، وفي مختصاتهم الشخصية .

ومن مختصات النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبوة ، والعبودية التامة ، فإنه أصل العبودية ومظهرها ، لم يخلق الله سبحانه وتعالى عبداً أطوع منه ، ولا أقرب إليه منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد تجلّت هذه الخصوصية في يوم مبعثه الشريف ، وكان ذلك بعد مضي أربعين سنة من ولادته .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ح ٩٧ ص ١٣٠ ب ٣ / آداب الزيارة .. ح ١٣ .

ومن خصوصيات أمير المؤمنين عليه السلام الإمامة (الولاية التفصيلية)، فهو أصلها، والظاهر بها، والمظهر لها، وقد تجلت هذه الخصوصية في يوم عيد الغدير، في السنة العاشرة في الثامن عشر من ذي الحجة، وللعهد أربعين ارتباطاً وثيقاً بهذا اليوم أيضاً من عدة جهات.

ومنها: إن بين استشهاده وبين يوم عيد الغدير ثلاثة أشهر تقريباً ((١٩) رمضان - (١٩) شوال - (١٩) ذي القعدة - (١٨) ذي الحجة)، وهي الأزواج الثلاثة المذكورة في سورة الواقعة المنسوبة إليه عليه السلام: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١).

ويعبر عن الأشهر في علم الحروف والأعداد بالمرتبة، فهنا ثلاث مراتب، في كل مرتبة عشرة أطوار، وهي مراتب القابليات الثلاثين التي تعود إلى حرف اللام في اسمه الشريف، والعشرة المتبقية لتمام الأربعين لمراتب المقبولات التي تعود إلى حرف الياء، وهي السنة العاشرة التي استشهد فيها، وهذا من وجوه تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ﴾^(٢)،

(١) سورة الواقعة: (٧).

(٢) سورة الأعراف: (١٤٢).

واختص هذا الحرفان بهذا الاستنطاق لأنهما يعودان إلى عالم الوجود المقيد، وحرف العين إلى عالم الوجود المطلق.

ومن خصوصيات الإمام الحسين عليه السلام الخضوع والخشوع، فإنه الأصل والظاهر والمظهر لهما، وهذه الخصوصية تجلت بعد أربعين يوماً من استشهاده عليه السلام، كما هو الأمر في ذلك العالم، فإنه قد نالها بعدما تشعبت ظلمة المعادين لولايتهم، فلبى نداء ربه بفداء نفسه وأهل بيته وأصحابه لإزالة ظلمتهم؛ فباستشهاده عليه السلام ظهرت تلك الخصوصية، ويمكن أن نرى سر هذا العدد بوضوح في هذه الخصوصية بالتالي:

خ	ض	و	ع	الناتج	بجمع الخانات	جمع الخانات
٦٠٠	٨٠٠	٦	٧٠	١٤٧٦	$١٨ = ١ + ٤ + ٧ + ٦$	$٢٢ + ١٨$
خ	ش	و	ع			٤٠
٦٠٠	٣٠٠	٦	٧٠	٩٧٦	$٢٢ = ٩ + ٧ + ٦$	يوم الأربعين

وهناك سر آخر لهذه العدد تعلق بمصيبتة عليه السلام، ويوم الأربعاء، وهو أن قانون الانقلاب يقتضي أربعين في كل شيء، فلما قتل عليه السلام اختل نظام الكون، وعاد إلى حالته بعد أربعين يوماً، فقد قال الصادق عليه السلام: «يا زرارة، إن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتشرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام»^(١).^(٢)

(١) مستدرک الوسائل - الميرزا النوري: ج ١٠ ص ٣١٣ ح ١٢٠٧٧/٦.

(٢) أسرار الشهادة - السيد كاظم الرشتي: ص ٧٥.٧٣.

الإشراق التاسعة والعشرون

هل تعلم..

أيهما أكبر القرآن الكريم أم النبي الأعظم
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام؟

من الثابت أنه لا يوجد شيء في عالم الإمكان أعلى منهم عليه السلام رتبة، ويكفي في ذلك كونهم عليه السلام النور الذي صدر من شعاعه كل شيء، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزل نورين أولين، إذ لا شيء كون قبلهما»^(١).

ومن الثابت أيضاً أنهم عليه السلام كلام الله الناطق، والقرآن الكريم كلام الله الصامت، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «هذا كتاب الله الصامت، وأنا المعبر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق، وذروا الحكم بكتاب الله الصامت، إذ لا معبر عنه غيري»^(٢).

وإذا كان الأمر هكذا.. فما المراد من كونهم عليه السلام الثقل الأصغر، وكون القرآن الكريم الثقل الأكبر، كما قال النبي الأعظم

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ٤٤٢ ب/ بلد النبي عليه السلام ووفاته ح ٩.

(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام - محمد الريشهري: ج ٨ ص ٢٠٧ ح ٣٦٣٦.

محمد ﷺ : «إني تارك فيكم الثقلين، الثقل الأكبر والثقل الأصغر، أما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما»^(١).

الجواب : من الواجب أن ندرك أولاً أن الشيء قد يكون له حكم باعتبار ذاته، وحكم باعتبار نسبته، وقد يكون حكمه الأول أفضل من الثاني، وقد يكون الثاني أفضل من الأول؛ فمثلاً: لو نظرنا إلى مسجد الكوفة، والمسجد النبوي، والمسجد الحرام، فمن حيث الذات مسجد الكوفة أفضل من المسجد النبوي لوقوعه بالكوفة، والمسجد النبوي لوقوعه في المدينة أفضل من المسجد الحرام لوقوعه في مكة، أما من حيث النسبة، فالمسجد الحرام أفضل منهما لأنه منسوب إلى الله سبحانه وتعالى، فكان ثواب الصلاة فيه أكثر، والمسجد النبوي أفضل من مسجد الكوفة لأنه منسوب إلى النبي الأعظم محمد ﷺ، فكان ثواب الصلاة فيه أقل من المسجد الحرام وأكثر من مسجد الكوفة، ومسجد الكوفة أقل فضلاً منهما لأنه منسوب إلى أمير المؤمنين العلي عليه السلام، فكان ثواب الصلاة فيه أقل من المسجدين.

(١) غاية المرام - السيد هاشم البحراني : ج ٢ ص ٣٤١.

وكذلك الأمر في حين فرض المقايسة بين القرآن وأهل البيت
 عليه السلام ، فمن حيث الذات فإنهم عليه السلام أفضل من القرآن ، ومن حيث
 نسبة القرآن إلى أنه كلام الله سبحانه وتعالى فإنه أكبر منهم عليه السلام
 للنسبة العرضية.. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى.. إن لهم عليه السلام مع القرآن ثلاث مراتب ،
 وهي :

الأولى : مرتبة المعاني

وهم عليه السلام في هذه المرتبة - أي : في ظرف السرمد في عالم
 الأمر - أكبر من القرآن ومن كل شيء خلقه الله عز وجل ؛ لأنهم محال
 مشيئته .

الثانية : مرتبة الأبواب

وهم عليه السلام في هذه المرتبة - أي : في ظرف الدهر في عالم العقول -
 باب الفيض بين الله عز وجل ومخلوقاته .

وهم هنا مساوون للقرآن ؛ لأنهم عليه السلام في رتبة العقل الأول
 المسمى بالروح من أمر الله عز وجل ، وهو القرآن في الباطن ؛ أما تسمع

قوله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل»^(١)، وقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري»^(٢).

الثالثة: مرتبة الإمامة

وهم ﷺ في هذه المرتبة - أي: في ظرف الزمان في عالم الملك - هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر؛ لأنهم ﷺ في هذا المقام لا يعلمون شيئاً إلا من القرآن، وما ينزل به جبرئيل والملائكة كما في ليالي الجمعة وليلة القدر؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

فيظهر من ذلك، أن قول النبي الأعظم محمد ﷺ في الحديث السابق كان متجهاً إلى حالهم ﷺ في المرتبة الثالثة^(٤).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ١ ك/العقل والعلم والجهل ص ٩٧ ب ٢/حقيقة العقل... ح ٨.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ١٥ ص ٢٤ ب ١/بدء خلقه وما جرى له في الميثاق... ح ٣٤.

(٣) سورة الشورى: (٥٢).

(٤) رسالة في جواب الشيخ محمد بن الحسين البحراني "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ١٣ ص ١٦٢ -

١٦٣. رسالة في جواب الملا كاظم السمناني "تراث الشيخ الأوحد الأحسائي" - الشيخ الأوحد الأحسائي:

ج ٢ ص ١٧٦.

الإشراقة الثلاثون

هل تعلم..

ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

حينما نأتي إلى مسألة فهم آيات القرآن الكريم ، فكثيراً ما نسمع بمصطلح التفسير ومصطلح التأويل - خصوصاً عند العرفاء - ؛ فتارة يقال : تفسير الآية هو كذا ، وتارة أخرى يقال : تأويل الآية هو كذا ، أو من وجوه تأويلها هو كذا.. فما الفرق بينهما؟

الجواب : لقد ذكر مصطلح التفسير في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) ، أما مصطلح التأويل فقد ذكر في سبعة عشر موضعاً^(٢) منها في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣) .

وكثيراً ما يحصل الخلط بين هذين المصطلحين ليس عند الباحثين فقط ، بل وحتى عند المختصين من أهل الفن :

(١) سورة الفرقان : (٣٣) .

(٢) استخدم القرآن مصطلح التأويل في سبعة عشر موضعاً : سورة آل عمران : (٧) ، وسورة النساء : (٥٩) ، وسورة الأعراف : (٥٣) ، وسورة يونس : (٣٩) ، وسورة يوسف : (٢١-٢٣-٣٧-٤٤-٤٦-١٠٠-١٠٢) ، وسورة الإسراء : (٤٦) ، وسورة الكهف : (٨٤-٧٨) .

(٣) سورة آل عمران : (٧) .

فتارة ينظر إلى كونهما شيئاً واحداً كما قال ابن منظور: (التفسير والتأويل والمعنى واحد)^(١).. وهذا ليس بصحيح.

وتارة أخرى - وهو المشهور والمعروف حتى عند العوام - ينظر إلى كونهما مصطلحين متقابلين، بحيث يحكي التفسير عن المعنى الظاهر من الآية؛ أي: المفاد الاستعمالي على مبادئ الحوار في اللغة العربية، ويحكي التأويل عن المعنى الباطن لها؛ أي: الحقيقة الإلهية المستورة التي لا تحيط به شبكات الألفاظ، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما من حرف إلا وله تأويل»^(٢).

وتارة ثالثة - وهو الحق - ينظر إلى أن التفسير مصطلح عام يندرج تحته التنزيل، والتأويل، وأي عملية يتم فيها الكشف عن مقاصد ومداليل الآيات القرآنية يطلق عليها تفسير؛ فيقال حين الكشف عن المعنى الظاهر: تفسير الظاهر، ويقال: حين الكشف عن المعنى

(١) لسان العرب - ابن منظور: ج ٥ ص ٥٥.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٣٣ ص ١٥٥ ب ١٦ / باب كتبه عليه السلام إلى معاوية واحتجاجاته عليه..

الباطن : تفسير الباطن ، وأيضاً يقال حين الكشف عن التأويل :
تفسير التأويل^(١).

وبذلك فالتأويل هنا لا يقابل التفسير ، بل يقابل التنزيل ، وهو
سبب نزول الآية ؛ أي : أول تدشين لها ، فقد قال النبي الأعظم ﷺ
لأمير المؤمنين علي عليه السلام : « ستقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت
على تنزيله »^(٢).

وقد يراد من التنزيل الظاهر ، ومن التأويل الباطن كما قال الإمام
الصادق عليه السلام : « ظهره تنزيله ، وبطنه تأويله »^(٣) ؛ ولكن هذا ينطبق
على ما يذهب إليه أصحاب الرأي الثاني ؛ بحيث يكون التفسير
والتنزيل والظاهر إما مصطلحات مترادفة ، أو مصاديق تدور في مدار
واحد وهو قشور الآية ، أما على الرأي الثالث ، فالتفسير معنى يعم
الجميع ، والتنزيل لسبب النزول ، وللظاهر ومراتبه مدار ، وللباطن

(١) استعمل الشيخ الأوحدي الأحسائي ذلك (تفسير الظاهر ، تفسير الباطن ، تفسير التأويل) في عدة مواضع من
كتبه مثل : الرسالة التبوية "تراث الشيخ الأوحدي" : ج ٨ ص ٨٦ . واستعمل السيد كاظم الرشتي ذلك ، في
تفسير آية الكرسي : ج ١ ص ١٣٠ . واستعمل العلامة الطباطبائي ذلك في كتابه الميزان في تفسير القرآن :
(أن الحق في تفسير التأويل) ج ٣ ص ٤٩ .

(٢) عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي : ج ٤ ص ٨٧ ح ١٠٧ .

(٣) بصائر الدرجات - الصفار : ج ٣ ص ٢١٦ ب ٧ / في الأئمة أنهم أعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل ح ٧ .

ومراتبه مدار، وكذلك للتأويل ومراتبه.. وهذا التقسيم يخص العرفاء.

فإن الظاهر عندهم هو ما ذكره المفسرون في ظاهر اللغة، والباطن (فهو أن تلاحظ الصورة العربية كما في الظاهر، وتلاحظ التقديم والتأخير كما في الظاهر، حرفاً بحرف، لكن تقصد منه المعنى الباطن الذي لا يكون مدلوله على خلاف ما يعرفه أهل الظاهر)^(١)، أما التأويل فله معانٍ، أحدها صرف الكلام عن ظاهر إلى معنى آخر لم يرد منه ظاهراً، من دون ملاحظة تمام الكلام اللغوي؛ أي: تأخذ الكلام مجرداً عن ارتباطه بما قبله أو بما بعده. ومثال ذلك تأويل قوله تعالى: «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ»^(٢)، أي: كلما أراد أهل الضلال إطفاء نور محمد وآله عليهم السلام أهلكهم الله عز وجل، فعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» قال: «كلما أراد جبار من الجبابرة هلكة آل محمد قصمه الله»^(٣).^(٤)

(١) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ١٣١.

(٢) سورة المائدة: (٦٤).

(٣) تفسير العياشي - العياشي: ج ١ ص ٣٣٠ ح ١٤٨.

(٤) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ الأوحدي الأحسائي: ج ٩ ص ٣٢٣-٣٢٥. تفسير آية

الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ١٢٤-١٣٧.

الإشراق الواحدة والثلاثون

هل تعلم..

ما فائدة الحروف المقطعة في بداية سور القرآن
الكريم؟

هناك تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم تبدأ بحروف مفردة أو مركبة من حروف الهجاء ، وهي أربعة عشر حرفاً مجموعة في جملة (صراط علي حق نمسكه) .. تأتي مفردة ك(ص ، ق ، ن) ، وثنائية ك(طه ، طس ، يس ، حم) ، وثلاثية ك(الم ، الر ، طسم) ، ورباعية ك(المص ، المر) ، وخماسية ك(كهيعص ، حم عسق) .

وقد اصطلح عليها بالمقطعات ، وبالحروف النورانية ، والمسمى الأشهر لها هو الحروف المقطعة لتقطيعها عند القراءة إذ تقرأ ألف لام ميم ، أو ألف لام راء .

ولكن .. هل لهذه الحروف الموجود في أوائل السور فائدة؟
الجواب : نعم ؛ لأن كل شيء موجود فهو مخلوق ، والحروف أشياء موجودة بدليل خطابي معك الآن .. فأنا أخطبك بها .
وإذا كانت الحروف مخلوقة ، ولكل مخلوق فائدة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً من الخلق عبثاً ؛ فللحروف إذاً فائدة .

ومن فوائد الحروف - غير التخاطب - الاختصار والإخفاء.. كيف ذلك؟

دعني أولاً أضرب لك هذين المثالين ليقرب المراد إلى ذهنك :
لو دخلت كلية الطب، وقطعت جميع المراحل الدراسية ثم تخرجت، فحينما يسألك أحد ما عن تخصص، فلن تقوم بذكر جميع الكتب الدراسية التي درستها، بل ستختصر ذلك في كلمة مكونة من حروف، فتقول: أنا طبيب.. هذا هو الاختصار.

أما الإخفاء، فمثاله ككلمة السر في حساباتك البنكية، فأنت تستخدم فيها مجموعة من الحروف لإخفاء أرصدة حساباتك المالية. والأمر هو كذلك في فائدة الحروف النورانية في أوائل السور، فإن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق، وجعلهم ﷻ الواسطة بينه وبين خلقه، أعطاهم مجموعة كبيرة من العلوم والفضائل والمقامات، وأودع فيهم - وفي ملكوته - مجموعة كبيرة من الأسرار، فقد قال في ثنائهم ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١).

(١) سورة لقمان: (٢٧).

ولما لم يمكن لمخلوق استقصاؤها وإحصاؤها اختصرها وأخفاها سبحانه وتعالى في تلك الحروف النورانية ، ولذا قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام : «إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأعطي موسى عليه السلام أربعة أحرف ، وأعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف ، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد ، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، أعطى محمداً اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه حرف واحد»^(١) ، وقال الإمام الباقر عليه السلام : «علم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ألف حرف ، كل حرف يفتح ألف حرف»^(٢) .

أما معاني الحروف المقطعة فذلك بحر عميق ، ومما ورد في تأويل (كهيعص) ، أن سعد بن عبدالله سأل القائم عليه السلام عن تأويلها ، فقال : «هذه الحروف من أنباء الغيب ، أطلع الله عليها عبده زكريا ، ثم قصها على محمد ﷺ ، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلمه إياها ، فكان زكريا عليه السلام إذا

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٢٣٠ ك / الحجة ب / ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم ح ٢ .

(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام - محمد الريشهري : ج ١٠ ص ١٧ ح ٤٨٣٧ .

ذكر محمداً عليه السلام وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سري عنه همه وانجلي
 كربه، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة، ووقعت عليه
 البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم
 تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور
 زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته، فقال: كهيعص: فالكاف
 اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين
عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره»^(١).^(٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ١٤ ص ١٧٨ ب ١٥ / قصص زكريا ويحيى عليهما السلام ح ١٤.

(٢) الرسالة التبوية "تراث الشيخ الأوحد الأحسائي" - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ٨ ص ١٤٥-١٤٧.

الإشراقة الثانية والثلاثون

هل تعلم..

أن الأعداد المذكورة في الآيات القرآنية
ليست مجرد أعداد رقمية؟

لقد ذكرت الأعداد في الآيات القرآنية بوفرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٣).. وذلك لعدة استخدامات، ومنها:

١- قد تستخدم الأعداد في الآيات القرآنية لا لخصوص الحقيقة الرقمية للعدد؛ بل لبيان مطلق الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ﴾^(٤)؛ فسواء استغفر لهم مرة أو مرتين أو سبعين أو ألف أو ألفين فلن يغفر الله لهم.

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة يوسف: (٤).

(٣) سورة الحج: (٤٧).

(٤) سورة التوبة: (٨٠).

وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)، فليس المراد من اليوم الإلهي هو ما يعادل ألف سنة في اليوم الدنيوي، بل الألف سنة للتعبير كناية عن كثرة أطوار اليوم الإلهي الواحد التي لا تحصى، أو للتعبير عن طوله وسعته مقارنة بضيق اليوم الدنيوي.

٢- وقد تستخدم الأعداد في الآيات القرآنية لخصوص الحقيقة الرقمية للعدد للإشارة إلى مقاصد إلهية عديدة، ومنها:

أ- بيان وتحديد حكم من الأحكام الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣)، فإن العدد في هاتين الآيتين معين رقماً لتحديد الفترة التي يترتب عليها الحكم الشرعي في عدة المطلق والأرملة.

(١) سورة الحج: (٤٥).

(٢) سورة البقرة: (٢٢٨).

(٣) سورة البقرة: (٢٣٤).

ب - بيان حقيقة من الحقائق الإلهية، كما في قوله تعالى :
 ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(١) ؛ فالعدد ثمانية خصص هنا
 للإشارة إلى حقيقة إلهية، وهي : أن العوالم التي دار عليها الوجود
 ثمانية : عالم الخلق في الدنيا وعالم الخلق في الآخرة، وعالم الرزق في
 الدنيا وعالم الرزق في الآخرة، وعالم الموت في الدنيا وعالم الموت في
 الآخرة، وعالم الحياة في الدنيا، وعالم الحياة في الآخرة.

أو للإشارة إلى حقيقة ذوات المظاهر الفعلية، وهم - ثمانية أيضاً -
 حملة العرش الأربعة وموكليهم : النبي الأعظم محمد ﷺ حامل
 الركن الأبيض، وأمير المؤمنين عليه السلام حامل ركن الروح الأصفر،
 والإمام الحسن عليه السلام حامل ركن النفس الأخضر، والإمام الحسين
 عليه السلام حامل ركن الطبيعة الأحمر، وموكليهم الملائكة الأربعة :
 جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل.

ج - بيان سر من الأسرار الإلهية، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا
 مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢) ؛ فالعدد أربعين خصص هنا للإشارة إلى سر من

(١) سورة الحاقة : (١٧).

(٢) سورة البقرة : (٥١).

الأسرار الوقتية ، وهو الوقت المعين لفتح مغاليق الانفعال بين الأسباب والمسببات في عالم الوجود.

كما في إخلاص العبادة لفتح باب الإشراقات النورانية على العبد الكامل في رياضاته ، فإنها تحتاج إلى أربعين يوماً - أو عالماً أو طوراً - ؛ ولذا قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «من أخلص العبادة لله أربعين صباحاً ظهرت ينايع الحكمة من قلبه على لسانه»^(١).^(٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥٣ ص ٣٢٦.

(٢) رسالة في جواب بعض الأخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي :

ج ٣ ص ٤٠-٤١ . شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ٢٨٠-٢٨٢ ، وص ٢٨٢-٢٨٣ .

الإشراقية الثالثة والثلاثون

هل تعلم..

ما الحقيقة النورانية لفريضة الحج؟

ما من شيء إلا وله ظاهر وباطن ، ولن نستطيع إدراك حقائق الأشياء وغايات وجودها إلا من خلال بواطنها ؛ لأن الباطن هو الجزء الذي يقبع في داخله ذات وكيونة الشيء ، أما الظاهر فهو مجرد قالب صوري به يظهر الشيء.. فهناك اختلاف شاسع في الحكم على الأشياء من جهة ظاهرها ومن جهة باطنها.

فلو نظرنا - مثلاً - إلى ظاهر فريضة الصلاة فلن نفهم من معناها إلا مجرد حركات يقوم بها المصلي ، أما إذا نظرنا إلى باطنها فسوف ندرك أن تكبيرة الإحرام جزء من حقيقة ظهرت في حركة رفع اليدين ، والركوع جزء آخر من هذه الحقيقة ظهر في حركة الانحناء ، وهكذا السجود وباقي أفاعيل الصلاة.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى فريضة الحج.. فإن هذه الفريضة ليست مجرد طواف حول حجر ، أو سعي بين حجر وحجر ، أو رمي حجر بحجر ؛ بل لها حقيقة باطنية نورانية ، وهي لقاء حجة الله على أرضه. ومن هو حجة الله في زماننا هذا؟ الإمام المهدي عليه السلام.

ولذا يروى عن عبد الله بن سنان، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعمله، قال: «وما ذاك؟ قلت قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال: «لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ»: لقاء الإمام، «وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ»: تلك المناسك.

قال عبد الله بن سنان فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾. قال عليه السلام: أخذ الشارب، وقص الأظفار، وما أشبه ذلك.

قال: قلت: جعلت فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له: «لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ»: لقاء الإمام، «وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ»: تلك المناسك. فقال عليه السلام: صدق ذريح وصدقت؛ إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟^(١)

فالظاهر من فريضة الحج هو تلك المناسك؛ ولكن حقيقتها الباطنية هي لقاء الإمام الحجة عليه السلام.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٤ ص ٥٤٩ ك / الحج ب / أتباع الحج بالزيارة ح ٤.

ودليل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾^(١) ؛ فمن الداعي (المؤذن) في هذه الآية؟

في ظاهر التنزيل الأمر الإلهي متوجه إلى النبي الأعظم محمد ﷺ لما أقام بالمدينة عشر سنين ولم يحج فنزلت هذه الآية ، وكذلك في ظاهر التنزيل الأمر متوجه إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام لما وضع قواعد البيت بأمر ربه .

ولكن في باطن التأويل ، أو بناءً على قاعدة الجري في آيات القرآن الكريم ، فإن الأمر الإلهي متوجه إلى حجة الله على أرضه في أي زمان ؛ فهو الداعي إلى الحج ؛ ولذا لم يقل الله عز وجل في الآية : وأذن يا نبي الله محمد ، أو وأذن يا نبي الله إبراهيم ؛ لأن الخطاب عام لجميع حججه عليه السلام .. هذا من وجه .

ومن وجه آخر ، الخطاب الإلهي في جميع مراتب عالم الوجود خاص بالنبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام ؛ لأنهم وجهه

(١) سورة الحج : (٢٨،٢٧) .

الظاهر في خلقه ، وكل خطاب لمن هو دونهم يعود أصله إليهم ، بل ما خوطب غيرهم إلا بهم ﷺ .

وهو ﷺ المأتي .. لظاهر قوله تعالى : «يَأْتُوكَ» ، ولذا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : «يَقْدُ النَّاسُ إِمَامَهُمْ فَيَشْهَدُ الْمَوْسِمَ فَيَرَاهُمْ وَلَا يَرُونَهُ»^(١) ، وروي عن محمد بن عثمان العمري قال : «والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة ، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»^(٢) .

والغاية من ذلك اللقاء هو تجديد العهد والولاء والنصرة له كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام : «إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ فَيَطُوفُوا بِهَا ، ثُمَّ يَأْتُونَا ، فَيَخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نَصْرَهُمْ» ؛ ولذا قال تعالى في الآية : «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ» ، فإنهم ﷺ أسمائه وصفاته^(٣) .

(١) الغيبة - الشيخ الطوسي : ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥٢ ص ١٥٢ ب ٢٣ / من ادعى الرؤية .. ح ٤ .

(٣) الرسالة التبليغية "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٨ ص ٢٤٠ . نجاة الهالكين - الشيخ

محمد أبو خمسين : ص ٣٦١ .

الإشراقة الرابعة والثلاثون

هل تعلم..

ما حقيقة مناسك الحج؟

لما عاد الإمام السجاد عليه السلام من الحج استقبله الشبلي ، فقال عليه السلام له : «حججت يا شبلي؟ قال : نعم ، يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال عليه السلام : أنزلت الميقات وتجرد من محيط الثياب ، فاغتسلت؟ قال : نعم ، قال عليه السلام : فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ، ولبست ثوب الطاعة؟ قال : لا . قال عليه السلام : فحين تجردت عن محيط ثيابك ، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق ، والدخول في الشبهات؟ قال : لا . قال عليه السلام : فما نزلت الميقات ، ولا تجردت عن محيط الثياب ، ولا اغتسلت..»^(١).

وهكذا ظل الإمام عليه السلام يعدد مناسك الحج وأفعالها في الظاهر فيجيبه الشبلي بـ "نعم" ، وحينما يبين له حقيقة هذه المناسك وما الواجب من الأفعال فيها - في الباطن - يجيبه الشبلي بـ "لا" ؛ حتى قال له عليه السلام : «ارجع فإنك لم تحج»!!

(١) الحج والعمرة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري : ص ٢٦٠ ح ٧٢٧ .

فلماذا قال الإمام عليه السلام للشبلي ذلك ؛ بالرغم من أنه قام بجميع أعمال الحج في الظاهر؟

الجواب : لأن حقيقة فريضة الحج هي لقاء حجة الله على أرضه عليه السلام لتجديد العهد والولاء له ، ولقاءه يحتاج إلى تهيئة النفس بتصفيتها ، فالتصفية هي إذاً حقيقة مناسك الحج ؛ ولذا قال عليه السلام للشبلي ذلك ؛ لأن حقيقة المناسك إذا لم تتحقق لن تتحقق حقيقة الحج.

والحاج يقطع في مناسك الحج أسفاراً أربعة لتصفية النفس ، في كل سفر ينزل مقاماً ليكسر حجاباً من الحجب التي تحول دونه ودون ذلك اللقاء ، يبدأ السفر الأول من النية إلى نهاية أعمال العمرة في الحج ، والسفر الثاني يقع في يوم عرفة ، والثالث يقع في مزدلفة ، والرابع يبدأ من منى حتى نهاية أعمال الحج .
ولا يسع المقام ذكر حقائق هذه الأسفار.. ونقصر الكلام في الإشار إلى حقيقتين واقعيتين فيها ، وهما :

الأولى : لماذا يتجرد الحاج في الميقات من محيط الثياب ويلبس ثوبي الإحرام البيض؟

لأنه مقام التجرد.. فالحاج يتجرد في الظاهر عن محيط الثياب ، أما في الباطن فيجرد قلبه ؛ أي : يخلع ثوب المعصية ، وهو ثوب النظر إلى الأغيار والأكدار ، ويلبس ثوب الطاعة ، وهو ثوب النظر إلى الله عز وجل وحده ؛ ولذا قال النبي ﷺ : «إذا أردت الحج فجرد قلبك لله» ، وقال له في الميقات : «فحين نزلت الميقات خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة».

ويلبس الحاج ثوبي الإحرام البيض لأنه سائر إلى جهة النور ؛ أي : إلى جهة العقل الكلي ؛ فيلبس ما يلائمه من الثياب لأن العقل الكلي له من أنوار العرش النور الأبيض.

وصار ثوبا لإحرام من القطن أو الكتان ولم يكونا من غير ذلك ؛ لأن النباتات منسوبة إلى كوكب زحل الذي يأمر أهل الدنيا بالزهد والخضوع والإعراض عن الدنيا ، وهذا الكوكب منسوب إلى العقل ؛ فكان العقل يطلب ما يناسبه من اللباس مما ينسج من نبات .

الثانية: لماذا يكمل الحاج بعد تحلله باقي مناسك الحج من دون إحرام؟

الحاج في بداية الحج لا يجوز له الطواف من دون ثوبي الإحرام، ولكن إذا تحلل بعد الرمي والحلق والذبح في يوم العيد جاز له أن يطوف من دون إحرام؛ لأنه في بداية الحج في مقام سفره الأول يطوف ويسعى لأجل التصفية، أما إذا وصل إلى منى فهو في مقام سفره الرابع، وهو منتهى آمال الطالبين، كما قال الإمام السجاد للشبلي: «فتويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك»، وهنا يطوف ويسعى على طهارة لأن النفس تصفت من الأكدار والأغيار، وصارت مرآة تنعكس عليها أنوار الجلال والجمال؛ فطوافه وسعيه في هذا المقام لا لأجل التطهر وصقل النفس كما في المقام الأول؛ بل لأجل الاستغراق في مشاهدة تلك الأنوار؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم، وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونه أمرهم بالزيارة على طهارة»^(١).^(٢)

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج ٢ ص ٤٤٣ ب ١٩٠ / العلة التي من أجلها صير الموقف ح ١.

(٢) شرح حياة الأرواح - الميرزا حسن كوهر: ص ١٩٥-١٩٧.

الإشراقة الخامسة والثلاثون

هل تعلم..

لماذا صارت الكعبة مربعة وصار الطواف حولها
سبعة أشواط؟

ألم تتساءل يوماً: لماذا لم تكن الكعبة دائرية؟!
أو خماسية أو سداسية الأضلاع؟!

لقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك حينما سئل: لم سميت الكعبة كعبة؟ فقال: «لأنها مربعة، فقليل له: ولم صارت مربعة؟ قال: لأنها بجذاء البيت المعمور، وهو مربع، فقليل له: ولم صار البيت المعمور مربعاً، قال: لأنه بجذاء العرش، وهو مربع، فقليل له: ولم صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١).

ولماذا صار الطواف حولها سبعة أشواط، ولم يكن ثمانية أشواط مثلاً؟

الجواب: لذلك عدة أسرار إلهية، ومنها:

الأول: لأن السبعة أكمل الأعداد لاشتمالها على أول فرد وهو ثلاثة، وأول زوج وهو الأربعة، ولذا اعتبره أهل الحساب عدد

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج ٢ ص ٣٩٨ ب ١٣٨ / العلة التي من أجلها سميت الكعبة كعبة ح ٢.

كامل ، وعلى ذلك جاء التعبير بالسبعة أبحر في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) للدلالة على عدمية مضاهاة إمداد ذلك البحر بكماله أمام إمدادات فيوضات كلماته - صلوات الله عليهم - ؛ فلم يقل - مثلاً - ثمانية أبحر ، أو تسعة أو ألف ؛ لأن السبعة عدد يعبر عنه لكمال الشيء أو تمامه ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾^(٣) .

الثاني : لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم وقال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) ، رد ملكان عليه فقالا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٥) ؛ فوقع الحجب بينهما بسبب تردهما - في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في الحقيقة - ؛ فسألوا الملائكة الخلاص مما هم فيه ، فقالوا لهم : ما نعرف إلا أن تلودا بالعرش ،

(١) سورة لقمان : (٢٧).

(٢) سورة البقرة : (٢٦١).

(٣) سورة الحجر : (٨٧).

(٤) سورة البقرة : (٣٠).

(٥) سورة البقرة : (٣٠).

فلاذا بالعرش سبعة آلاف سنة. ولما رحمهم الله سبحانه وتعالى أمرهم أن يطوفا بالضراح - البيت المعمور الذي في السماء الرابعة - ، فمكثوا يطوفون حوله سبع سنين حتى تاب الله عليهم ، ثم جعل الله سبحانه وتعالى البيت الحرام (الكعبة) حذو البيت المعمور توبة لمن أذنب من الناس إذا طاف سبعة أشواط.

فالسبعة الآلاف سنة في العرش طواف الملائكة المقربين هي سبع سنين في البيت المعمور مثابة للملائكة الذين لم يصلوا للعرش ، أو أنزلوا منه (كالملكين السابقين) لأنه مثاله ، وهي سبعة أشواط في البيت الحرام مثابة لمريدي التوبة ليثابوا على توبتهم ويأمنوا من العقوبة.

ولذا روي عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : «قلت لأبي : لم صار الطواف سبعة أشواط ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ، فردوا على الله تبارك وتعالى : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ، قال الله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وكان لا يحجبهم عن نوره ، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام ، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب

عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة، فجعله
 مثابة وأمناً، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة
 للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل
 ألف سنة شوطاً واحداً^(١).^(٢)

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج ٢ ص ٤٠٧ ب ١٤٣/ العلة التي من أجلها صار الطواف سبعة أشواط

ح ١٠

(٢) تراث الشيخ الأوحى "رسالة في جواب الملا فتح علي خان" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٩ ص ٢٧٠.

الإشراق السادسة والثلاثون

هل تعلم..

ما حقيقة الصيام؟

من المعلوم أن الصيام ليس فرضاً مستحدثاً أو خاصاً بالديانة الإسلامية دون غيرها، فقد فرض الصيام في الديانات السماوية السابقة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١)، ومارست بعض الحضارات والأديان الوضعية القديمة الصيام كطقس من طقوسها الدينية، كالحضارة الفرعونية، وحضارة الإزتيك، وغيرهما.

وهذا الوجود المتأصل للصيام في تاريخ التراث الديني الإنساني حث الكثير من الباحثين والمفكرين والعلماء - من العرب والغرب - على إقامة العديد من الأبحاث فيه.

وبالرغم من أن جميع هذه الأبحاث تلمست بعض آثار الصيام، كفوائده الجسدية والنفسية؛ إلا أنها لم تستطع الوصول إلى حقيقته كما يقول الدكتور لويس سارايفا، الباحث في مختبر الاستقلاب العصبي والجينوم الوظيفي: (مع أن هناك العديد من التجارب

(١) سورة البقرة: (١٨٣).

السريية التي تدرس تأثير الصيام ؛ إلا أن الآليات الجزئية الكامنة وراء الصيام لا تزال غير مفهومة ، خاصة على مستوى الكائن الحي ككل^(١) ؛ ويقصد بالجزئية الكامنة ؛ أي : حقيقته ، سره ، كيفية عمله .. خصوصاً في تلك العلاقة المرتبطة بين الصيام والروح والجسد.

وكيفما كان الأمر ، فهناك من أن استطاع أن يقدم تفسيراً واضحاً لحقيقة الصيام في داخل منظومة الفكر الشيعي ، قائماً على المصادر الحكيمة الإلهية^(٢) ، ومفاد ذلك - باختصار - :

إن الروح الإنسانية خلقت في عالم الرقائق ، وهو عالم يتوسط عالم الجبروت الذي خلقت فيه المواد الأصلية ، وعالم الملكوت الذي خلقت فيه الصور الأصلية . ولما نزل الإنسان من عالي عالم الإمكان ولبس الجسد العنصري المتكون من عناصر الأرض ؛ أصبح هذا الجسد بيت الروح .

(١) Differential regulation of the immune system in a brain, liver, fats organ network during short-term fasting: ٢٠٢٠ jun ٨,٨;٤٠:١٠١٠٣٨.

(٢) نقصد به الشيخ الأوحى الأحسائي .

ولما كان إدام الروح وقوتها في الجوع والعطش صاغ الله سبحانه وتعالى حياة وصلوح هذا الجسد العنصري في قلة الطعام والشراب، وخرابه وموته في كثرتهما.

فإذا أفرط الإنسان في طعامه وشرابه ثقل هذا الجسد، وأصبح غير صالح لإقامة الروح فيه، وتواردت عليه الأمراض لأن أكثرها يأتي من الشبع، وإذا خف فيهما - كما في حال الصيام - خف جسده، وإذا خف جسده أصبح صالحاً لإقامة الروح فيه، وذهبت عنه الرياح وسائر الأمراض؛ ولذا قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «من قل طعمه صح بطنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سقم بطنه وقسا قلبه»^(١).

وبذلك تكتسب الروح - في حال خفة الجسد - قوتين إلهيتين مدبرتين للجسد:

القوة الأولى: قوة الإقبال، وهي القوة التي تقوم فيها الروح بجذب جسد الإنسان نحو جانب اعتباره من ربه؛ أي: نحو الطاعات والصالحات، ونحو تقويته في أدائها.

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ١ ص ٨٨.

القوة الثانية: قوة الإِدبار، وهي القوة التي تقوم فيها الروح بطرد أو صرف الجسد عن جانب اعتباره من نفسه؛ أي: عن المعاصي والشهوات، وعن الخمول والكسل في أداء العبادات وغير ذلك. من هنا عد علماء الروحانيات الصيام قانوناً من قوانين السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى، وأمرأً أساسياً في عتق الروح من سجنها المحبوسة فيه.

فإنهم - أي: الروحانيون أو العرفاء - حينما يأتون بمصطلح "عتق الروح من الجسد"، لا يقصدون بذلك أن هناك عملية انفصال ستحدث بين الروح والجسد؛ لأن هذا لا يكون إلا بالموت، بل يقصدون السيطرة تكون لمن؟ فحينما تكون السيطرة للجسد يقولون: إن الروح سجينه لهذا الجسد، وحينما تكون السيطرة للروح يقولون: إن الروح انعتقت عن الجسد، وتعلقت بملوكتها الأعلى، فقد قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «من كثر تسبيحه وتمجيده وقل طعامة وشرابه ومنامه اشتاقته الملائكة»^(١).^(٢)

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ١ ص ٨٨.

(٢) الرسالة الصومية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٥ ص ٢٩٦-٢٩٥. رسالة في جواب بعض الديانين من أصفهان "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ١٤ ص ١٣٧-١٣٩.

الإشراق السابعة والثلاثون

هل تعلم..

متى تقيّد وتصفّد الشياطين في شهر رمضان؟

إن نعم الله سبحانه وتعالى على عبادة كثيرة جداً.. وكما أن هذه النعم تنقص في مواضع المعاصي ، فإنها تزيد في مواضع الطاعات ، خصوصاً تلك المعينة ؛ كصيام شهر رمضان. فمن النعم الزائدة التي منّ بها على عبده الصائم في هذا الشهر ، هي أن الشياطين تصفد وتغلل عنه ، كما قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «إذا استهل رمضان غلقت أبواب النار، وفتحت أبواب الجنان، وصدفت الشياطين»^(١).

ولكن.. هل الشياطين تصفد وتغلل عن كل الصائمين؟

إذا كان الأمر هكذا ؛ فمن الواجب ألا نرى صدور بعض المحظورات من بعض الصائمين في هذا الشهر.

الجواب : حتى ندرك هذا الأمر لا بُدَّ أن نفهم أولاً إن الصيام على ثلاثة أنواع كما قال الإمام الباقر عليه السلام : «صوم القلب خير من صوم اللسان ، وصوم اللسان خير من صوم البطن»^(٢) ، وهي :

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٣ ص ٣٤٨ ب ٤٦ / وجوب صوم شهر رمضان وفضله ح ١٤ .

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري : ج ٢ ص ١٦٨٧ .

الأول : صوم العوام

وهو عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب ، وهو أدنى مراتب الصوم كما قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «أيسر ما افترض الله تعالى على الصائم في صيامه ، ترك الطعام والشراب»^(١).

فأهل هذا المقام يؤدون ظاهر فرض الصيام من دون الالتفات إلى حقيقة الأمر ؛ أي : يؤدون صورته الظاهرية فقط .

الثاني : صيام الخواص

وأهل هذا المقام بالإضافة إلى الإمساك عن الطعام والشراب ، يؤدون جزءاً من الصيام المتعلق بالباطن ؛ كصيام اللسان ، وصيام باقي الجوارح ، فيقربون من حقيقة الصيام قليلاً .

ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام : «إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ، إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم ، وهو صمت الداخل ، أما تسمع ما قالت مريم بنت عمران : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ؛ يعني صمتاً . فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب ، وغضوا أبصاركم ، ولا

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٤ ص ٣٥٢ .

تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا وتكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا تغاضبوا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تفاتروا ولا تجادلوا ولا تتأدوا ولا تظلموا ولا تسافهوا ولا تضاجروا»^(١).

الثالث: صوم خواص الخواص

هؤلاء بالإضافة إلى الإمساك عن الطعام والشراب، وتأدية صيام الخواص، فإنهم يؤدون حقيقة الصيام كاملة، وهي صيام القلب عن الأغيار؛ أي: التوجه بالكلية - ظاهراً وباطناً - إليه سبحانه وتعالى. ومن هنا عرف بعض العرفاء حقيقة الصيام بأنها:

(عبارة عن الإمساك من غير ذكر الله، فإذا أمسك عن ملاحظة الأغيار فقد صلح لمشاهدة الأنوار، وجاس خلال ديار الأسرار، فلا بد أن يمسك بحواسه الظاهرة عن مشاهدة ما حرم الله بأنه لا ينظر بعينه إلى ما حرم الله رؤيته، ولا يستمع إلى ما نهى الله عن استماعه، ويحفظ باطنه عن الاشتغال بغير ذكر الله، ويتوجه إلى بركليته، يعني بظاهره وباطنه)^(٢).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٣ ص ٢٩٢.

(٢) شرح حياة الأرواح - الميرزا حسن كوهر: ص ١٩٠.

إذا فهمنا هذه النقطة..

فسوف ندرك عندئذٍ أن الشياطين تصفد وتغلل فقط عن أصحاب النوع الثالث من الصائمين ؛ لأنهم جاؤوا أو وقفوا على حقيقة الصيام ؛ فترتب على ذلك الآثار - من حيث إن تحقق الأثر لا يكون إلا بوجود مؤثره - ، وأما عن غيرهم فلا^(١).

(١) الرسالة الصومية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٥ ص ٢٩٥-٢٩٦. شرح

حياة الأرواح الميرزا حسن كوهن : ص ١٩٠-١٩١.

الإشراقة الثامنة والثلاثون

هل تعلم..

ما الأوعية الوقتية للعوالم الإلهية؟

ينقسم عالم الوجود - عالم ما سوى الله سبحانه وتعالى - من حيث الظاهر والباطن إلى قسمين : عالم الشهادة ، وعالم الغيب .
ونستخدم في عالم الشهادة هذه الكلمات الثلاث : الماضي ، الحاضر ، والمستقبل ؛ كأوعية لوصف أوقات هذا العالم ، فنربط الأول بوقت الشيء الذي مضى وجوده ، والثاني بوقته الموجود الآن ، والثالث بوقته الذي لم يقع وجوده بعد .
أمّا الأوعية التي تستخدم لوصف أوقات عالم الغيب فهي : الأزل ، السرمد ، الدهر ، والزمان .
والفرق بينها - باختصار - :

أن الأزل : هو عين الذات الحق - وهو نفس الأبد - ؛ أي : هو الله عز وجل ، فلا يتوهم أحد أن الأزل ظرف والله سبحانه وتعالى حال فيه كما هو حال الممكنات وأوعيتها .

وإنما يؤتى به في أثناء الحديث عن الأوقات الإلهية للتفهم فقط ، وإلا فهو ليس داخل ضمن التقسيم أصلاً ، كما هو الأمر في تقسيم

الوجود إلى واجب الوجود وممكن الوجود ؛ فليس معنى ذلك أن لهما وجوداً واحداً يختلف بينهما بفصل الوجوب والإمكان ؛ وإنما يأتي بذلك للتفهم أن وجوده ~~هو~~ يختلف عن وجودنا ، ووجوده عين ذاته بلا مغايره .

وأما السرمد : فهو ظرف ووعاء عالم الأمر ؛ أي : وقت الفعل المسمى بالمشيئة ، وبمترابطاته في الرتبة الإمكانية .

والسرمد وإن كان مسبقاً بالغير ؛ أي : بالأزل ؛ إلا أنه لا ينتهي إليه ، وإنما ينتهي إلى نفسه ؛ لأنه حادث - السرمد - والحادث لا ينتهي إلى القديم الأزلي .

فهو إذاً مبتدأ بنفسه ؛ أي : ليس مسبقاً بشيء من الممكنات ، وامتداده إلى ما لانهاية (غير متناه) لأنه ظرف الإمكان الراجح ، والإمكان غير متناه .. فالسرمد هو الوقت المستمر الذي يكون أنه واحداً ، لا تعدد فيه ، ولا كثرة ، ولا تبايناً .

وأما الدهر: فهو ظرف ووعاء الفعل في الرتبة الكونية ؛ ولكنه وقت للمجردات عن المادة العنصرية والمدة الزمانية لا مطلقاً، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١).

وللدهر امتداد متجنس ومتنوع ؛ ذو مراتب يجري فيها التعاقب والتمايز والترقي والهبوط ؛ لأنه ظرف للإمكانات المقيدة.

أوله امتداد معنوي للعقول في عالم الجبروت ، وهو مدة انتقال ومكث النطف المعنوية المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة الجسمية والمثالية والنفسية ، وامتداد روحاني لعالم الأرواح ، وهو مدة انتقال ومكث الرقائق المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة الجسمية والمثالية والنفسية التامة ؛ لأن الرقائق ليست صوراً وإنما هي مبادئ الصور ، وامتداد نفساني لعالم الملكوت ، وهو مدة انتقال ومكث الصور المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية.

وأما الزمان: فهو ظرف ووعاء الفعل في الرتبة الكونية ؛ ولكنه وقت للأجسام الزمانية ، وليس وقتاً للمجردات.

(١) سورة الإنسان: (١).

وللزمان تعددٌ حسيٌّ، وتكثرُ بما حل فيه، وله امتداد لطيف في أوله وآخر، ولذا فإن أجسام أهلها الطف، وقتها ومكانهما أوسع بسبعين مرة من امتداد كثيفه.

وله امتداد كثيف في وسطه، وهو مدة انتقال ومكث الجسم في الأماكن الظاهرة؛ لأن المكان من مشخصات الجسم؛ وهو البعد المخلوق الذي تشغله الأجسام بالحصول فيه، فما من جسم إلا وقد شغل حيزاً من الزمان.

وهناك ظرف بين الدهر والزمان لعالم المثال، وله امتداد نوراني لطيف يجري عليه حكم الدهر في أعلاه، وحكم لطيف الزمان في أسفله؛ لأنه البرزخ والحائل بين الشئين^(١).

(١) الرسالة الوعائية - الشيخ الأوحى الأحسائي: ص ٣٥-٢٤.

الإشراقة التاسعة والثلاثون

هل تعلم..

ما هي أطوار خلق الإنسان؟

استحوذ خلق الإنسان على شطر كبير من آيات القرآن الكريم ،
وتكلمت آياته عن أكثر من صيغة لخلقه ، ومنها أنه قد مر بعدة أطوار
في أثناء ذلك كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(١).

ويعتقد الكثير أن المقصود بهذه الأطوار ، هي فقط تلك الأطوار
الجنينية التي يمر بها الإنسان أثناء تكونه في رحم أمه في عالم الشهادة ؛
ولكن الحق أن هناك أطواراً أخرى - بالإضافة إلى هذا الطور - مر بها
الإنسان في خلقه قبل نزوله إلى هذا العالم ، عبر عنها القرآن الكريم
بالظلمات في قوله تعالى : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ
خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(٢).

فإن المقصود بهذه الظلمات الثلاث ، ليس ظلمة غشاء المشيمة
المحيط بالجنين ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن فحسب ؛ بل جملة
الأطوار أو مراتب العوالم التي مر بها الإنسان في خلقه ، وهي ثلاثة

(١) سورة نوح : (١٤).

(٢) سورة الزمر : (٦).

عوالم كلية، في كل عالم كان له مقام حال، وفي داخل كل عالم من هذه الثلاثة مربسة عوالم - أو أطوار - أيضاً، وهي - باختصار - كالتالي :

الطور الأول : طور عالم الغيب

وهذا هو طور عالم الدهر، وهو طور أول العوالم التكوينية، وفيه ستة أطوار، وهي :

طور الإنسان العقلي النوراني المجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية في أول عالم الدهر ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١)، ثم الإنسان النفسي في وسطه حينما ألبست مادته صورة أصلية بحسب مقتضى إيجاده وقبوله للوجود ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾^(٢).

وبين أول ووسط عالم الدهر برزخ طور الإنسان الروحي الذي تم فيه صوغ الرقائق، وفي آخر عالم الدهر طور الإنسان الطبيعي الذي أذيب بعد تمام صوغه الأول، وفي عالم جوهر الهباء طور

(١) سورة الإنسان : (١).

(٢) سورة الأعراف : (١١).

الإنسان الهبائي الذي فيه تكونت الحصاص الوجودية الجزئية، وفي برزخ عالم المثال طور الإنسان المثالي الذي فيه ألبست تلك الحصاص الجزئية صورها المثالية؛ فهذه ستة أطوار في هذا الطور.

الطور الثاني: طور عالم النزول من الغيب إلى الشهادة

وهذا هو طور تنزل النطف المعنوية من الخزائن الإمكانية إلى الخزائن الأكوانية، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١).

ويكون تنزلها بواسطة الملائكة إلى الرياح إلى السحاب إلى الماء إلى الأرض ثم إلى النبات في الفواكه والبقول؛ فهذه ستة أطوار في داخل هذا الطور.

الطور الثالث: طور عالم الشهادة

وهذا هو طور المراحل الجنينية في عالم الأجسام، الذي يبدأ منذ نزول النطفة المعنوية واستقرارها في النطفة الطبيعية إلى الولادة الجسمانية؛ وفيه ستة أطوار كذلك، وهي: طور النطفة، ثم العلقة،

(١) سورة الحجر: (٢١).

ثم المضغة، ثم العظام، ثم تمام الخلقة، وآخرها طور الولادة الجسمانية التي يخرج به إلى الحياة الدنيا.

فالإنسان البشري الظاهر أمامك تم خلقه في ظلمات ثلاث، لكل ظلمة ستة أطوار، وهذه هي ثمانية عشر عالماً مربها في خلقته، منها ما كان في عالم الغيب، ومنها ما كان في عالم الشهادة، ومنها ما وقع بينهما في أثناء تنزله^(١).

(١) شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢٤-١٢٥. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحـد الأحسائي" - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩. رسائل الحكمة - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ص ١٧١. شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٣.

الإشراق الأربعة

هل تعلم..

ما أصل حسن الخلق في الكافر، وسوء الخلق في
المؤمن، ولماذا يتولد المؤمن من صلب الكافر
والكافر من صلب المؤمن؟

كثيراً هي تلك الوقائع التي تتحدث عن أناس دخلوا إلى الإسلام بالرغم من أنهم ولدوا من أبوين كافرين أو معتنقين لديانة سماوية كالديانة المسيحية أو النصرانية - مثلاً .. والعكس هو تماماً، فهناك وقائع كثيرة تتحدث عن أناس خرجوا من الإسلام بالرغم من أنهم ولدوا من أبوين مسلمين، وعاشوا في بيئة إسلامية محضة منذ نعومة أظافرهم؛ وهذا الواقع هو مصداق تأويل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١)، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية: «فالحي هو المؤمن الذي يخرج من طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج هو من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحي المؤمن، والميت الكافر»^(٢).

أما حقيقة ذلك، فتعود إلى أن النطف المعنوية (المواد الأصلية) في أصل عالم الخلقة انقسمت إلى قسمين بحسب صورة الإجابة

(١) سورة الأنعام: (٩٥).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٨٨ ب ٣ / طينة المؤمن وخروجه من الكافر وبالعكس... ح ١٠.

والإنكار: نطف مؤمنة خلقت من طينة الجنة، ونطف كافرة ومنافقة خلقت من طينة النار.

وقد مر كلاهما بأطوار معينة في التكوين حتى وصلا إلى عالم الطبيعة الذي كسرت فيه حصص مواد جميع المخلوقات، ومزج بعضها ببعض؛ فحصل باختلاط الطين اللطخ الذي هو علة حصول السيئة من المؤمن والحسنة من الكافر في عالم الدنيا، فقد روي عن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبد الله بن كيسان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أنا مولاك، عبد الله بن كيسان. «قال: أما النسب فأعرفه، وأما أنت فلست أعرفك. قال: قلت له: إني ولدت بالجليل، ونشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمات وحسن الخلق وكثرة أمانة، ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم. وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة، ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي: أما علمت يا بن كيسان أن الله عز وجل أخذ طينة من الجنة، وطينة من النار، فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه، وهذه من هذه. فما رأيت من أولئك من الأمانة

وحسن الخلق وحسن السميت فمما مستهم من طينة الجنة ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه»^(١).

وكيفما كان ، بقت تلك النطف المعنوية بعد كسرها وإرجاعها إلى الطين في خزائن الممكنات حتى تهيأت المقدرات الإلهية بحسب مقتضى اختيارها ، ثم نزلت من عالي عالم الإمكان إلى عالم الدنيا كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢).

وتنزل كل منهما مر بمراحل ، وهي : أما النطف المعنوية المؤمنة لما خلقت من طينة عليين نزلت من شجرة المزن بواسطة الملائكة ، ثم إلى الرياح ، إلى السحاب ، إلى الماء ، إلى الأرض ، إلى النبات ، إلى الفواكه والبقول ، ومن ثم استقرت في الأرحام . وأما النطف الكافرة والمنافقة لما خلقت من طينة سجين سعدت من شجرة الزقوم بواسطة

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤ ك / الإيمان والكفر ب / طينة المؤمن والكافر ح ٥ .

(٢) سورة الحجر : (٢١) .

الملك الحامل لها، إلى الريح العقيم (الأبخرة)، إلى البحر، إلى الحوت، إلى الثور، إلى النيران السبع، إلى الأراضين السبع، إلى البقول والثمار، ومن ثم استقرت في الأرحام.

فهناك محطة تستجن فيها النطف المعنوية أثناء نزولها في الفواكه والبقول والثمار (عناصر الأرض)، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾^(١)؛ فمن أكل ما استجن فيها من قطرات شجرة المزن خرج من صلبه مؤمن ولو كان الآكل لها كافراً، ومن أكل ما استجن فيها من قطرات شجرة الزقوم خرج من صلبه كافر ولو كان الآكل لها مؤمناً، فقد قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن في الجنة لشجرة تسمى المزن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً، أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقله ولا تمر أكلها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً»^(٢).^(٣)

(١) سورة النجم: (٣٢).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٨٤ ب ٣ / طينة المؤمن خروجه من الكافر وبالعكس ... ح ٨.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٢ ص ١٧٤-١٧٥. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ

الأوحاد" - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩. الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ

الأوحاد الأحسائي: ج ٩ ص ٣٦٧. رسالة في جواب بعض الأخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحاد" -

الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٣ ص ٥٤-٥٥.

الإشراقة الواحدة والأربعون

هل تعلم..

أن الاسم يؤثر على المسمى؟

لقد قضى العالم الياباني "ماسورو إيماتوا" رئيس معهد هادو للأبحاث في طوكيو عشرين عاماً من حياته في إجراء التجارب على الماء ، فألف كتابه الشهير "Massage From Water" ، الذي طبع بالعربية بعنوان "رسالة من الماء" بتقديم الدكتور زغلول النجار.

وفي هذا الكتاب استعرض ماسورو التجارب التي أجراها على الماء ، وأهم النتائج التي توصل إليها.

ومنها : إن الماء يتأثر بأشياء عديدة من أهمها الكلمات ، وبما أن الماء يشكل ٧٠٪ من جسم الإنسان فإن أي كلمة نطقها - إيجابية أو سلبية - ستؤثر عليه تبعاً لتأثر الماء بها ، وبما أن أكثر كلمة يستقبلها الإنسان هي اسمه ، توصل ماسورو إلى أن الاسم يؤثر على الإنسان . وحتى يثبت ذلك - أي : تأثير الاسم على المسمى - قام بتجربة على ثلاثة أكواب من الماء ، وضع في كل كوب كمية من الأرز ، وفي كل يوم يأتي إلى الكوب الأول فيقول له : شكراً (Thank you) ، ويقول للثاني : غبي (Idiot) ، ويترك الوعاء الثالث من دون أي

يقول له أي كلمة، فقط ينظر إليه ويذهب.. وبعد عدة أيام وجد أن الأرز في الوعاء الأول بدأ يتفاعل، وصارت له رائحة طيبة، وأما الأرز في الوعاء الثاني تحول إلى اللون الأسود، وأما الذي في الوعاء الثالث فتعفن!^(١)

والسؤال الهام هنا هو: هذه النتيجة مبنية على التجربة الطبيعية؛ فما يقول الدين أو العلوم الإلهية في نتيجة كهذه؟

الجواب: لقد ذكر علماء الجفر في علم الحروف والأعداد ذلك؛ لاستخدامهم هذه النتيجة في المعالجات الطبيعية والروحية، ولكنهم أرجعوا السبب إلى الأصل المؤثر وهو طبيعة حروف الاسم في أنفسها بأنفسها، وثانياً بتعلقاتها، لا إلى المتأثر بها كالماء الموجود بالجسم. فقالوا: إن هناك أربع طبائع في عالم الوجود: الطبيعة النارية، والطبيعة الهوائية، والطبيعة المائية، والطبيعة الترابية.

ولكل حرف من الحروف اللفظية طبيعة من تلك الطبائع الأربع، فمثلاً: الألف، والجيم، والذال، لهما طبيعة نارية، والباء، والحاء، لهما طبيعة هوائية، والتاء، والحاء، لهما طبيعة مائية، والثاء،

والدال ، لهما طبيعة ترابية. فمتى ما غلبت على حروف الاسم الطبيعة النارية - مثلاً - كانت النار هي الطبيعة التي تؤثر ويتأثر بها الإنسان ، ومتى ما غلبت عليه الحروف الهوائية كان الهواء هو الطبيعة التي تؤثر ويتأثر بها كذلك ، وهكذا في غلبة حروف الاسم بالطبيعة المائية والترابية.. ويستفاد من الوصول إلى الطبيعة المؤثرة على الإنسان في المعالجات الروحية.

ومن جهة أخرى ، يرتبط تأثير الحروف بما تعلقت به طبائعها من صفات ، فالطبيعة النارية لها صفة الحرارة واليبوسة ، والطبيعة الترابية لها صفة البرودة واليبوسة ، والطبيعة الهوائية لها صفة الحرارة والرطوبة ، والطبيعة المائية لها صفة البرودة والرطوبة.. ويستفاد من الوصول إلى صفة الطبيعة المؤثرة على الإنسان في المعالجات الطبيعية. وكذلك يرتبط تأثير الحروف بما تعلقت به طبائع بطبائع الأفلاك ، فتتأثر الحروف النارية بالأبراج النارية كالحمل والأسد ، والحروف الترابية بالأبراج الترابية كالثور والسنبله ، والحروف الهوائية بالأبراج الهوائية كالجوزاء والميزان ، والحروف المائية بالأبراج المائية كالسرطان ، والعقرب. فمتى ما نزل القمر في أحد منازلها تأثرت

طبيعة الحروف ، فتقوى إذا وافقتها ، وتضعف إذا خالفتها ، وبالتالي يتأثر جسم الإنسان بحسب منازل القمر تبعاً لتأثر الحروف المتعلقة بذلك المنزل .. ويستفاد من الوصول إلى الأبراج التي ترتبط بحروف الاسم في القرانات النحسة والسعيدة ، وكذلك في جميع أنواع المعالجات .

وكيفما كان الأمر عند علماء الجفر .. فإن تأثير الاسم على المسمى مما دل عليه الشرع ؛ ولذا فإنه دعا إلى التسمية بالأسماء الحسنة والابتعاد عن السيئة أو القبيحة منها .

فقد سأل الإمام الصادق عليه السلام عن التسمية بأسماء الأئمة ؛ أفي ذلك نفع ؟ فقال : «أي والله»^(١) .

وقال النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : «استحسنوا أسماءكم ، فإنكم تدعون بها يوم القيامة : قم يا فلان ابن فلان إلى نورك ، وقم يا فلان ابن فلان لا نور لك»^(٢) .^(٣)

(١) ميزان الحكمة - الريشهري : ج ٢ ص ١٣٦٤ .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٦ ص ١٨ ح ٣ .

(٣) الرسالة التبوية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٨ ص ١٤٨-١٥٣ . جواب

الآخوند الملا مهدي الرشتي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٣ ص ٢٣٩-٢٤١ .

الإشراقة الثانية والأربعون

هل تعلم..

ما هي الفطرة؟

كثيراً ما نسمع بكلمة الفطرة تتردد على ألسنة العلماء ، بل وحتى على ألسنة عامة الناس ، فيقال : إن هذا الإنسان على الفطرة ، أو قام بهذا الفعل على فطرته وسجيته^(١).

وهذا الاستعمال يتوافق مع معنى الفطرة في قوله تعالى : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢) ، فإنها الحالة الأصلية للخلقة التي يولد عليها الإنسان.

ولأقرب معنى الفطرة - فيما نحن فيه - إلى ذهنك دعني أضرب لك هذا المثال :

تخيل أن الفطرة كشريحة البرمجة الموضوعة في داخل الكمبيوتر ليعمل بالصورة الصحيحة التي من أجلها صنع ، فإنها أثر فعل الله ؛ لأنه سبحانه وتعالى لما خلقنا لإيصالنا إلى السعادة الأبدية جعل في جبلتنا ما يلائم ويوافق فعله ، ويكون محلاً لإمداداته وألطافه الإلهية.

(١) لسان العرب - ابن منظور : ج ٥ ص ٥٦ مادة (فطر).

(٢) سورة الروم : (٣٠).

وكما أن شريحة الكمبيوتر مكونة من عدة خانات، ولكل خانة وظيفة معينة، فكذلك هي الفطرة، فإن لها خصائص (كخانات الشريحة) تتطابق مع الجهة القائمة بها والمستمدة منها وهي جهة النور، فنولد وفطرتنا مجبولة على الصفات النورانية فقط، كالصدق، والأمانة، والحب، والعفوية.. إلخ، ولا يوجد هناك ما يضادها في بادئ الأمر من جهة النفس الأمارة بالسوء؛ كالكذب، والخيانة، والكراهية، والمقاصد النفسية الذميمة.. إلخ.

وعفوية وبراءة الطفل أبرز مثال لرؤية تجلي الفطرة السليمة وصفاتها الحقيقية، فالطفل لا يعرف الكذب بل يعرف الصدق، ولا يعرف الكراهية بل يعرف الحب.

وكما أن خانات شريحة الكمبيوتر تدوم بالمحافظة، وتعطب فتتعطل وظيفة إحداها، أو تعطب جميع خاناتها فتتعطل الشريحة كلها، فكذلك هي الفطرة، فهناك عوامل تزيد من فاعليتها وقوتها، وعوامل أخرى كالفيروسات تؤثر على إحدى صفاتها أو على جميعها فلا تكون صالحة للعمل في مقتضاها، ومنها:

١- تأثير الأبوين ، قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»^(١) ، فقد يؤثر الأبوان إيجاباً على تلك الفطرة فيساهمان في المحافظة عليها ، وفي تقوية خاناتها ، وقد يؤثران سلباً فيدمرانها.

٢- تأثير الطاعات والمعاصي ، والأمر هنا كما في تأثير الأبوين ، فالطاعات تحافظ وتزيد من فعالية الفطرة ، والمعاصي تبدلها وتغيرها ، قال الإمام الباقر عليه السلام : «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء ، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء ، فإن تاب ذهب ذلك السواد ، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض ، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً ، وهو قول الله عز وجل : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٢).

وحينما يقال تلوثت الفطرة فذلك يعني تعطل بعض صفاتها باستعلاء طبع ما يضادها عليها ، كما لو تعلم الإنسان الكذب - مثلاً - وانحسرت وخبث صفة الصدق ، أو يعني أن سواد المعاصي لم يبلغ

(١) ميزان الحكمة - الريشهري : ج ١ المعرفة الفطرية ص ٧٨١.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٧٠ ص ٣٣٢ ب ١٣٧ / الذنوب وآثاره والنهي عن استصغارها ح ١٧.

حد الطبيعة أو الملكة، ولا يزال قبول الحق ممكناً لبقاء مقتضى الفطرة السليمة.

أما إذا استعلت النفس المظلمة على جميع جهات النور، وتبدلت وتغيرت لكون المعاصي طبيعة لا طبعاً، وملكة لا حالاً، ولم يبق للفطرة السليمة أي مقتضى، فيسمى ذلك باعوجاج الفطرة، أو الفطرة المعوجة.. كالشريحة قد تتعطل بعض خانتها، وقد تتعطل كلها.

فالإنسان لن يكون متنعماً وملتذاً بالإمدادات والألطف الإلهية، إلا بالمحافظة على فطرته من التبديل والتغيير، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)؛ وبذلك تكون السذاجة والخسران في تبديلها تغييرها وليس في عفويتها وبراءتها^(٢).

(١) سورة الرعد: (١١).

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ١ ص ٧٠-٧١. شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٣ ص ١٠٤-١٠٣.

الإشراقة الثالثة والأربعون

هل تعلم..

أن الإنسان ليس حيواناً ناطقاً؟

ما زالت فرضية التطور البشري الذي صدح بها دارون تغزو الأفكار الإسلامية وغير الإسلامية أيضاً.

ومجملها: أن البداية الأولى لجميع المخلوقات كانت من خلية واحدة وهي الأميبا، ثم أخذت تتطور وتنقسم إلى أنواع: حشرات، حيوانات، طيور.. وأن الإنسان نشأ من نوع القروذ التي تمثل قمة سلسلة الحيوانات^(١)

فأصل الإنسان هو قرد... وكلاهما يشتركان في الحيوانية، ويختلفان في الفصل المقوم لكل منهما، فالإنسان حيوان ناطق، والقرد - أو الفرس - حيوان غير ناطق.

وبالرغم من أن هذه الفرضية التي جاء بها علماء الطبيعة لاقت تصدياً كبيراً منذ طرحها وحتى يومنا هذا، وصل البعض منه إلى مرحلة التهكم والسخرية بها؛ إلا أن نفس مبدئها حينما تحدث عنه الفلاسفة في منطقتهم تحت عنوان "الإنسان حيوان ناطق" تم قبوله

والترحيب به ، بل وتم اعتباره من أبرز المقدمات الأولية التي يجب بناء القضايا عليه !!

ولا يقال : أن المعنى الذي يريدونه من كلمة الحيوان هو الحياة ، بمعنى أنه موجود ، فهذا مجرد تمويه وتلاعب في الألفاظ ، أما في الحقيقة فيقصدون بها الجنس المشترك بين الإنسان والحيوان^(١) ؛ أي : إن لهما نفس الرتبة .. بل لجميع المخلوقات رتبة واحدة - عندهم - وما يميزها هو الشخصيات (الفصول).

وكيفما كان .. فالحق أن للإنسان رتبة خاصة به ، وهي أعلى وأشرف من رتبة الحيوان في سلسلة الخلق الطولية ؛ وكيف لا يكون ذلك والحيوان قد خلق من أثر رتبة الإنسان ، فمن المحال وقوع التساوي بينهما ولو على الفرض .

ومن الأدلة البديهية على ذلك :

١- أما ترى كيف أنه سبحانه وتعالى سخر لنا الحيوانات ، وجعل لنا الحاكمية والسلطة عليها ؛ نأكلها ، نتخذ من جلودها أثاثاً ..

(١) المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر : ص ١١٧ .

والعكس لم يحدث ؛ وذلك لأثر قانون هيمنة العالي على السافل في سلسلة الخلق الطولية.

٢- لو كان الإنسان والحيوان من نفس الرتبة ؛ لوجب أن يكونا لهما نفس التكليف.. فمن الثابت أن كل مخلوق مكلف ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١). وعلى القول بالاتحاد في الرتبة يجب أن يكون التكليف الشرعي للحيوان - كالصلاة مثلاً - نفس ما للإنسان من تكليف !

وكذلك هو أمر التكليف الاعتقادي.. فإما أن يكون الحد المطلوب في اعتقاد الإنسان في توحيد الله سبحانه وتعالى - مثلاً - كما هو في اعتقاد النمل الصغار الذي قال فيه الإمام الباقر عليه السلام : «ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبانيتين ، فإن ذلك كمالها ، ويتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما»^(٢) ؛ أو يكون الحد المطلوب من النمل الصغار كما هو ما للإنسان في اعتقاد وحدانيته وتنزيهه سبحانه وتعالى ، وغير ذلك.

(١) سورة الإسراء: (٤٤).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٦ ص ٢٩٣.

وهذه الأمور لا تتناقض مع الأدلة النقلية والعقلية فحسب ؛
 وأيضاً مع الواقع الخارجي الذي هو أدل دليل على صدق القضايا.
 نعم.. توجد هناك جزئية حيوانية في الإنسان ؛ ولكنها عرضية
 وليست بذاتية كما في الحيوان ؛ إي : إنها ليست نابعة من صميم
 ذاته ؛ بل هي مجرد عرض يتقوم بها ليستكمل في هذه الحياة.
 كما أنه توجد في بعض الحيوانات بعض أفعال الإنسان كالنطق
 للبيغاوات ؛ ولكن النطق ليس من ذاتها، بل هو مجرد عرض
 اكتسبته ، وهو خارج عن أصل ذاتها^(١).

(١) مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين : ج ١ ص ٣٩٥-٤٠٢. شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى
 الأحسائي : ج ٢ ص ٨٢. تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ١ ص ٣٠٤-٣٠٢. مناهج السالكين -
 الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي : ص ١٥.

الإشراقة الرابعة والأربعون

هل تعلم..

لماذا الحسنة بعشر السيئة بواحدة؟

من لطف الله سبحانه وتعالى أن الإنسان إذا نوى فعل الطاعة كتبت له حسنة وإن لم يفعلها، وإذا فعلها كتب له عشر حسنات، وإذا نوى فعل المعصية لم يكتب عليه شيئاً، وإذا فعلها كتبت له بواحدة.

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

وقال الإمام السجاد عليه السلام - في تفسير هذه الآية -: «فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشرًا، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة، فنعوذ بالله ممن يرتكب في يوم واحد عشر سيئات، ولا تكون له حسنة واحدة، فتغلب حسناته سيئاته»^(٢).

ولكن.. ما هي حكمة ذلك؟

(١) سورة الأنعام: (١٦).

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ١ ص ٦٣٧ ح ٨٦٠.

بمعنى آخر.. لماذا لم يكن هناك تساو بين جزاء الحسنات وجزاء السيئات؟!

الجواب : يتعلق سر هذا الأمر بالقبضات العشر التي خلق منها جسم الإنسان في أصل الوجود، وهي :

تسع من الأفلاك ، وواحدة من تراب الأرض : قبضة من تراب الفلك الأطلس خلق منها قلبه ، وقبضة من تراب المكوكب خلق منها نفسه (صدره) ، وقبضت من تراب فلك زحل خلق منها دماغه وأسكنها عقله ، وقبضة من تراب المشتري أسكنها عمله ، وقبضة من تراب فلك المريخ أسكنها وهمه ، وقبض من تراب فلك الشمس أسكنها وجوده (وجوده الثاني) ، وقبضة من تراب فلك الزهرة أسكنها خياله ، وقبضة من تراب فلك عطارد أسكنها فكره ، وقبضة من تراب فلك القمر أسكنها حياته ، وقبضة من تراب الأرض خلق منها جسده وأسكنها في قواه العنصرية.

فإذا نوى الإنسان الحسنة ولم يفعلها كتبت له بواحدة ؛ لأنها تستقر وتثبت فيما يلائمها من تلك القبضات ، وهي القبضة الأولى التي خلها منها قلبه.

وإذا فعلها كتبت له عشر حسنات ؛ لأنها بعد استقرارها في قلبه ، تنزل إلى القبضة الثانية فتكتب فيها حسنة أخرى له ، وإذا استقرت في الثانية تنزل إلى القبضة الثالثة فتكتب له حسنة ثالثة ، وهكذا في باقي القبضات العشر.

أما إذا نوى السيئة ولم يفعلها لا تكتب عليه ؛ لأن السيئة أصلها الماهية ، وتلك القبضات أصلها الوجود فلا تقبل إلا مثيلاتها ، والسيئة أجنبية عنها.

وإذا فعلها مرت على القبضة الثانية (الصدر) لأنها أول ابتدائها ، ثم تمر على القبضة الثالثة .. وهكذا حتى تصل إلى قبضة الجسد فيحصل لها نوع من الاستقرار دون باقي القبضات فإنها تمر عليها ولا تستقر فيها لأنها ليست منها ، فإذا تاب مح الله عنه تلك السيئة ، وإذا مضت سبع ساعات ولم يتب ، انعكس بخار السيئة في كل ساعة على ما قبلها من القبضات السبع ، فإذا وصل إلى قبضة صدره كتبت له سيئة واحدة فقط ، وهذا هو مصداق قول الإمام الصادق عليه السلام : «العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم

يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة»^(١).

ولعلك الآن..

أدركت لماذا حينما تفعل الطاعة تشعر بتأثيرها على قلبك، ونفسك، وعقلك.. إلى جسدك؛ وذلك للملاءمة بينها وبين أصل تلك القبضات التي خلقت منها.

وحينما تفعل المعصية لا تشعر بتأثيرها إلا على جسدك، أما باقي القبضات الأخرى فتتفر منها؛ لأنها كما قلنا غريبة عليها لا أصل لها فيها، ولو كانت منها لأنس قلبك و نفسك وعقلك وجميع باقي القبضات بها^(٢).

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٤٣٧ ك / الإيمان والكفر ب ١٩٣ / الاستغفار من الذنب ح ٣.
 (٢) رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحده الأحسائي" - الشيخ الأوحده الأحسائي: ج ١١ ص ٦٧. الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحده الأحسائي" - الشيخ الأوحده الأحسائي: ج ٩ ص ٤٢١-٤٢٢.

الإشراقة الخامسة والأربعون

هل تعلم..

ما هو البداء؟

كل شيء في عالم الوجود الممكن خلق بمقتضى أصول القابلية الستة، وهي: الكم، والكيف، والوقت، والمكان، والرتبة، والوجهة.

ومنها الإنسان.. فإن الله سبحانه وتعالى حكم له - بإجابته في عالم الذر - على مقتضى تلك الأصول في كل شيء؛ فمثلاً قدر له مدة عمره، وكيف يعيش، والوقت والمكان الذي سيعيش فيه في عالم الدنيا، ومستوى رتبة عيشه من غنى وفقر... وهكذا جرى له من التقديرات الإلهية في باقي الأمور المرتبطة بوجوده، كإيمانه، ورزقه، وتعامله.. وغيرها.

والسؤال الهام هنا هو: هل هذه التقديرات ثابتة، أم أنها قد تتغير؟

بمعنى آخر.. لو قدر لزيد بعد خلقه مدة من العمر، ولتكن أربعين سنة مثلاً، ومستوى معيناً من المعيشة كالفقر؛ فهل هذان الأمران

ثابتان عليه ما دام يعيش في الحياة الدنيا ، ولن يتغيرا مهما جاء من أفعال؟ أم أنهما قد يتغيران ، وإن كانا من المقدرات؟

الجواب : نعم قد يتغيران ...!

فهناك أمرٌ يسمى (بالبداء) ، وهو إظهار حكم من الأحكام الوجودية الكونية بعد انقضاء مدة الحكم السابق لتغيير الموضوع ؛ أي : محوما كان مثبتاً ، وإثبات ما لم يكن ، كما قال تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) ، وقال الإمام الصادق عليه السلام : «ما عبد الله بشيء مثل البداء»^(٢).

فإن المقدرات الإلهية على قسمين - كما في الآية السابقة ، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام : «هما أمران : موقوف ومحتوم ، فما كان من محتوم أمضاه ، وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء»^(٣) .

القسم الأول : مقدر موقوف قابل للتغيير موجود في لوح المحو والإثبات ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾

(١) سورة الرعد : (٣٩).

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ١٤٦ ك / التوحيد ب ٥٠ / البداء ح ١ .

(٣) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي : ج ٦ ص ٤٩ .

ومن ذلك لو كتب سبحانه وتعالى لزيد مقداراً من العمر مثلاً خمسين سنة ، فإنه يعيش هذا المقدار إذا بقي على مقتضى إجابته في عالم الذر ؛ فلا يحى شيء مما كتب له إلا :

١- بمشيئته سبحانه وتعالى ؛ فإنه القادر على كل شيء ، قال الإمام السجاد في دعائه : «يا ذا المن لا منّ عليك ، يا ذا الطول لا إله إلا أنت ، يا أمان الخائفين وظهر اللاجئين وجار المستجيرين ، إن كان في أم الكتاب عندك أني شقي أو محروم أو مقتر عليّ رزقي ، فامح من أم الكتاب شقائي وحرمانني واقتار رزقي ، واكتبني عندك سعيداً موفقاً للخير ، موسعاً عليّ في رزقي ، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك ﷺ المرسل ﷺ : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ، وقلت : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، وأنا شيء ، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين»^(١).

٢- إذا زاد زيد على مقتضى تلك الإجابة بعمل طاعة مما يطيل العمر فقوى المدد الذي يعين جهته ؛ فإن الله سبحانه وتعالى يحو ما

(١) الصحيفة السجادية : ص ٥٨٠.

كان مثبتاً عند الملائكة من المقدر لعمره ، ويثبت لديهم زيادته جراء طاعته ؛ لزيادة المدد الذي أعان أصول قابليته .

٣- إذا أنقصها بعمل معصية مما ينقص العمر ، فإن الله سبحانه وتعالى يحو ما كان مثبتاً عند الملائكة من عمره ، ويثبت لديهم نقصانه جراء معصيته ؛ وذلك لانحباس المدد الذي يعينه على عيش تلك المدة .

القسم الثاني : مقدر محتوم لا يتغير ، فلا بداء فيه ، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

وهذا على قسمين :

الأول : الأمور الواقعة الثابتة ، وهو ما كتب في اللوح حين كتب فإنه يستحيل ألا يكتب .

الثاني : ما كان هناك علة في محتوميته ؛ كحكمة خفية ، أو وعد إلهي ، أو توقف مصلحة النظام الكلي عليه ، أو غير ذلك ^(١) .

(١) جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢

ص ٤٠٧ . رسالة في جواب أسئلة أمر الشيخ (اع) بجوابها "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١٣

ص ٤٧٩-٤٨١ . الرسالة الوعائية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ص ٤٠-٤٣ .

الإشراق السادسة والأربعون

هل تعلم..

أن الإنسان مهما بلغ من رتبة في الإيمان لا
يمكنه أن يترقى طويلاً فيصل إلى رتبة الحقيقة
المحمدية؟

يعتقد الكثير من الحكماء والعلماء - وغيرهم - أن الوجود الممكن وإن تكثر وتعدد إلا أن جميع الممكنات خلقت من طينة واحدة، ولها رتبة واحدة.

فحينما تنظر إلى الخارج وترى الاختلاف والتكثربين المخلوقات، كاختلاف البشر عن الشجر، واختلاف الشجر عن الحيوان.. إلخ؛ فما ذلك إلا بسبب اختلاف مشخصاتها (فصولها)، ويعود تكثرها إلى تغاير مراتبها المشككة، كتغاير مراتب الأشعة بالنسبة إلى قربها وبعدها من السراج، وفي نفس الوقت لجميعها وجوداً واحداً.

وهذا ليس بصحيح بتاتاً.. لأن القول به يقتضي ترقى الأشياء بكمال أو غيره، وهذا مما تأباه البديهة الواقعية.

فهل رأيت شجراً يترقى فيكون حيواناً؟

وهل رأيت حيواناً يترقى فيكون إنساناً؟

وهل رأيت إنساناً يترقى فيكون نبياً؟

لن يحدث هذا ولو بعد مليارات السنين ؛ لأن الوجود الممكن ليس متحداً في أصل الرتبة ، بل له مراتب مختلفة في السلسلة الطولية ، وهي كالتالي :

الرتبة الأولى للنبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ ، والرتبة الثانية للأنبياء ﷺ ، والرتبة الثالثة لمؤمني الإنس ، والرتبة الرابعة لمؤمني الجن ، والرتبة الخامسة للحيوانات ، والرتبة السادسة للنباتات ، والرتبة السابعة للمعادن ، والرتبة الثامنة للجماادات .
أما كفار الإنس ، وكفار الجن ، والشياطين ، والنباتات المرة ، والأرض السبخة والمالحة فقد خلقوا من أظلة وعكوس ما يقابلها من المراتب .

وهذه المراتب إذا نظر إليها من ناحية ذاتها ؛ فإن لكل رتبة منها ذاتيات وخصوصيات ومتعلقات خاصة بمن فيها من المخلوقات ، فوجود الرتبة الأولى وخصوصيات طينتها وقربها من المبدأ ، وغير ذلك ، يختلف عن الرتبة الثانية ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرتبة الثانية والرتبة الثالثة ، وباقي الرتب .

وإذا نظر إليها من ناحية غيرها ؛ فيترتب على ذلك عدة أمور،
ومنها :

أولاً : إن الرتبة الأولى هي أعلاها وأشرفها ، وهي الأصل الذي
ترامت من أشعته باقي المراتب طولاً .

وثانياً : إن للعالي النزول إلى رتبة الذي أسفل منه ، ولا عكس ؛
أي : لا يمكن له الترقى والصعود إلى رتبة الأعلى منه .

فمثلاً : يمكن للنبي الأعظم محمد ﷺ أو أهل البيت عليه السلام
النزول إلى رتبة الأسفل منهم ، كما في ظهور حقائقهم النورانية
بالصورة البشرية ، وخطابهم للطير والجمادات ؛ ولكن لا يمكن أن
يترقوا ويصبحوا شركاء مع الله عز وجل في رتبة أزله ، ويمكن للحيوان
النزول إلى رتبة النبات ، وهو ما نراه في تمثل بعض الحيوانات
والحشرات بأشكال وألوان بعض النباتات للدفاع عن أنفسها ؛ ولكن
لا يمكن للحيوان أن يترقى ويصبح إنساناً ، ويمكن للإنسان النزول إلى
رتبة الأسفل منه ، ولولا ذلك لم يستطع تسخير الحيوانات والنباتات
والمعادن والجمادات في شؤون حياته ؛ ولكن لا يمكنه أن يترقى
ويصبح نبياً أو في رتبة أهل البيت عليه السلام .

وما يأتي من الأدلة التي قد يظهر منها ذلك ، فيعتقد أن الإنسان يستطيع أن يترقى فيكون في رتبتهم عليه السلام ، كما في قولهم عليه السلام في حق سلمان المحمدي عليه السلام : «سلمان منا أهل البيت»^(١) ؛ فإنها محمول على الإضافة التشريفية ؛ أي : إنه من خواص شيعتنا ، ومن محبيننا ، ومن المقربين لنا ؛ لا بمعنى أنه ترقى وأصبح في رتبتنا التي خصنا بها الله عز وجل ، فذلك من المحالات ، ولذا ورد عنهم في الزيارة الجامعة : «حيث لا يلحقه لاحق ، ولا يفوقه فائق ، ولا يسبقه سابق ، ولا يطمع في إدراكه طامع»^(٢) .

نعم... يمكن للأشياء - ومنها الإنسان - أن تترقى في السلسلة العرضية ؛ أي : في نفس رتبتها النوعية ؛ فيختلف هنا إيمان سلمان عن أبي ذر عن المقداد في نفس الرتبة عرضاً^(٣) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٠ ص ١٢٣ ب ٨ / ما تفضل - صلوات الله عليه - به على الناس في قوله : سلوني قبل أن تفقدوني ح ٢ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٩ ص ١٣٠ ب ٨ / الزيارات الجامعة... ح ٤ .

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٣ ص ٥١-٥٩ . مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين : ج ١ ص ٤٠٢-٣٩٥ . شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ١٦٢-١٦٣ .

الإشراقة السابعة والأربعون

هل تعلم..

أن انقلاب كل شيء في عالم الوجود يكون في
أربعين كوراً أو دوراً؟

يختلف القانون الوضعي الذي وضعه وقننه البشر عن القانون الإلهي الذي وضعه وأجراها الله سبحانه وتعالى لتدبير خلقه في التكوين والتشريع.

فمثلاً: إن الأول متغير وقابل للصحة والخطأ، وللکسر وعدم الانطباق على الجميع، أما الثاني فهو ثابت، ولا يمكن أن تعتریه أو تتخلله جميع تلك الأمور.

ويعد قانون الانقلاب من أبرز القوانين الإلهية في عالم الوجود، ومفاده - باختصار -:

إن (جميع ما في الوجود جرى على صنع واحد بتدبير واحد من مدبر واحد سبحانه وتعالى، فكل شيء ينقلب كمال الانقلاب في أربعين، فإذا انقلب كمال الانقلاب تغيرت حقيقته وتغير حكمه)^(١). ومن الأمثلة على هذا القانون في التكوينات وفي التشريعات:

(١) رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين الباقفي "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي:

الأول (في التكوين): عدة لبس البشرية في قوس النزول، وعدة خلعها في قوس الصعود يكون في أربعين كوراً^(١).

عند نزول النطف المعنوية من عالي عالم الإمكان ووصولها إلى مقام لبس الجسد البشري، فإن هذا الاكتساء يكون في أربعين؛ لأن هذا الجسد مخلوق من عشر قبضات تسع من نفوس الأفلاك، وواحدة من موضع تراب الأرض التي يموت فيها الإنسان، وكل قبضة تكتمل في أربعة أدوار: دورة عنصرية، ودورة نباتية، ودورة حيوانية، ودورة معدنية؛ فيصبح مجموع مدة اكتمال خلقه هو أربعين كوراً في عالم الغيب، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ﴾^(٢).

وإذا مات الإنسان فإن خلع لباس البشرية يأخذ أربعين دوراً - أو يوماً - بالتحلل البطيء التدريجي، وقد يكون الخلع في مدة أسرع من ذلك، وقد يكون أبطأ من ذلك؛ بحسب تدخل بعض المقتضيات الإلهية، أو الأسباب.

(١) الكور للتعبير عن أطوار عالم الغيب، والدور للتعبير عن أطوار عالم الشهادة.

(٢) سورة الأحقاف: (١٥).

الثاني (في التكوين): عدة انقلاب النطفة في عالم الأرحام يكون في أربعين دوراً - أو يوماً - لكل طور من أطوارها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١)، فما بين انقلاب النطفة إلى علقه، وتغير حكمها يستلزم ذلك أربعين دوراً في تدبيره وتقديره سبحانه وتعالى، وكذلك في انقلاب العلقه إلى مضغة... الخ.

الثالث (في التشريع): حكم عدم قبول صلاة شارب الخمر لأربعين يوماً

لأن شارب الخمر إذا مازج الخمر النجس لحمه وعظمه وشعره حمل جسده حكم نجاسته؛ فلا تقبل له صلاة حتى يستراب جسده أربعين يوماً؛ أي: حتى تذهب (تنقلب) مشاشته^(٢) النجسة ويحل محلها مشاشة طاهرة؛ ولذا قال الإمام الرضا عليه السلام - في شارب الخمر -: «إذا شرب الخمر بقيت في مشاشته على قدر ما خلق منه، وكذلك

(١) سورة المؤمنون: (١٤).

(٢) معنى المشاشة: (رؤوس العظام التي يمكن مضغها).

يجتمع غذاؤه وأكله وشربه تبقى في أربعين يوماً^(١)، وعن ابن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: إنا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أن من شرب الخمر لم تحسب له صلاته أربعين صباحاً، فقال: « صدقوا: فقلت: كيف لا تحتسب صلاته أربعين صباحاً لا أقل وأكثر، قال: إن الله تبارك وتعالى قدر خلق الإنسان فصور النطفة أربعين يوماً، ثم نقلها فصورها علقه أربعين يوماً، ثم نقلها فصورها مضغة أربعين يوماً، وهذا إذا شرب الخمر بقيت في مشاشته على قدر ما خلق منه، وكذلك جميع غذائه وأكله وشربه تبقى في مشاشته أربعين يوماً^(٢) »^(٣).

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز الله عطاري: ج ١ ك/ الإيمان والكفر ب/ الذنوب ص ٢٧٦ ح ٧٦.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٧٦ ص ١٣٥ ب ٨٦/ حرمة شرب الخمر وعلتها.. ح ٣٠.

(٣) رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين الباقي "تراث الشيخ الأوحّد الأحسائي" - الشيخ الأوحّد

الأحسائي: ج ١٠ ص ٢٦٦. ترسالة في جواب بعض الأخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحّد

الأحسائي" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٣ ص ٦٢.

الإشراقة الثامنة والأربعون

هل تعلم..

لماذا ندعو ولا يستجاب لنا؟

لقد اتفق الكثير من المفسرين والعلماء وغيرهم على أن الظاهر من هذه الآية : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ، هو أن العلاقة بين الدعاء والإجابة علاقة ذاتية.

أي : متى ما كان هناك دعاء من طرف المخلوق لا بد أن تكون هناك إجابة حالية من طرف الخالق ، وليست إجابة مؤجلة ؛ كعلاقة النار بالحرارة ، فإن الحرارة تلازم إشعال النار حالاً وليس بعد مدة ، وكعلاقة الضوء بالشمس ، فإنه من المحال أن تطلع الشمس ولا يكون هناك ضوء ملازم لها.

وإذا كان الأمر هكذا.. فلماذا لا تتحقق إجابة الكثيرة منا حالاً

بعد الدعاء؟

الجواب : لا بد أن ندرك أولاً أن هناك قانوناً للدعاء والإجابة ، ولضمان تحقق الملازمة بينهما علينا أن نفهم فلسفة هذا القانون ، أو آلية عمله أثناء التطبيق.

(١) سورة غافر: (٦٠).

فإنه كأى قانون آخر.. كالقانون الرياضى مثلاً، تتوقف صحة نتائج استخدامه فى معادلة ما على فهمه، وعلى تطبيقه - أيضاً - بصورة صحيحة.

فما هى فلسفة قانون الدعاء والإجابة؟
لا شك أن فلسفة هذا القانون قائمة على مبدأ الملازمة الذاتية بين السبب والمسبب؛ ولكن من قال بأن الملازمة بين الأسباب والمسببات من دون شرط؟!

فالملازمة بين النار والإحراق ملازمة ذاتية؛ ولكن بشرط وجود الهواء؛ وإلا فلن تشتعل النار، وبالتالي لن يتحقق الإحراق، والملازمة بين الشمس والضوء هى كذلك ملازمة ذاتية؛ ولكن بشرط عدم توفر الحاجز أو الحاجب، فلو كنت فى الغرفة وطلعت الشمس فلن ترى أشعتها بسبب السقف.

وهكذا هى الملازمة الذاتية بين الدعاء والإجابة؛ لا بدُّ من وجود المقتضى وهو شرط تلك الملازمة، وزوال المانع بينهما؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «احفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو، وكيف

تدعو، ولماذا تدعو؟.. فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة»^(١).

والشرط الواجب توفره لتحقيق تلك الملازمة الذاتية بين الدعاء والإجابة هو القابلية.. كيف يكون ذلك؟

دعني أضرب لك هذا المثال ليقرب المقصود منها هنا :
تخيل لو ذهبت لشراء سيارة ما.. فحينما تطلب وتقول أريد هذه السيارة، فإن الموظف الموجود في خدمة العملاء سوف يلبي طلبك فوراً؛ ولكن بشرط توفر المال الكافي لديك في حين الطلب.
ونفس الأمر كذلك في الملازمة بين الدعاء والإجابة، فإن الأمر متوقف على وجود القابلية؛ فهل لديك قابلية (مال) للأمر الذي تطلبه من الله عز وجل في وقت دعائك؟

ولعلك تقول: ما هي القابلية؟

يمكن تعريف القابلية في الحكمة الإلهية - من الوجه الواقع في مقام حديثنا - بأنها: الطاقة المتولدة من جهة اعتبار الإنسان من ربه، أو جهة اعتباره من نفسه.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٠ ص ٣٢٢ ب ١٧ / آداب الدعاء... ح ٣٦.

فمتى ما أخلص الإنسان لله سبحانه وتعالى ، وأقبل إليه بما يحبه ويرضاه من الطاعات اقترن النور بجهة وجوده ، فتقوى عندئذٍ قابليته ، ويكون لها القدرة على جذب الخيرات في تحقق الدعاء وغيره . بمعنى آخر ، يحصل هنا مطابقة بين لسان المقال ؛ أي : لسان الدعاء الظاهري ، وبين لسان القابلية .

ومتى ما أدبر عنه ، والتجأ إلى جانب ماهيته ، ضعفت جهة النور من جانب وجوده ، وقوة عندئذٍ جهة الظلمة من جانب ماهيته ، فيكون له القدرة على جذب مثيلاتها فقط لتسلط النفس الأمارة بالسوء عليها ؛ وبالتالي لن تحقق الإجابة في دعائه لعدم توفر ما يلزمها من شرط ، وهو قابلية النور ؛ أي : عدم تطابق لسان المقال مع لسان القابلية^(١) .

(١) جواب الملا عبدالوهاب اللاهيجاني " جواهر الحكم " - السيد كاظم الرشتي : ج ٢ ص ٤٠٣-٤٠٤ . شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ٢ ص ٣٧-٣٥ .

الإشراقة التاسعة والأربعون

هل تعلم..

كيف يتوفر شرط القابلية في الدعاء والإجابة،
وكيف يزداد وينقص؟

من المعلوم أن الملازمة الذاتية بين الدعاء والإجابة مقرونة بشرط توفر القابلية، والناس - وجميع الخلق - في القابليات على ثلاثة أصناف :

الأول : من زادت لطيفته من ربه على حقيقته.

الثاني : من تساوت لطيفته مع حقيقته.

الثالث : من نقصت لطيفته عن حقيقته.

وليقرب المقصود من ذلك إلى ذهنك دعني أضرب لك هذا

المثال :

تخيل لو دخل مجموعة كبيرة من الناس إلى سوق ما ؛ فإنهم في شراء ما يريدونه على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : لديه مال كافٍ (قابلية) لشراء ما يريد ، وبإمكانه أيضاً أن يمد غيره أو يساعده لو طلب منه . وهذا الصنف إذا دعا لنفسه استجيب له ، وإذا التجأ إليه غيره والتمس منه الدعاء له ، استجيب للغير كذلك لتوفر القابلية الكافية عند الداعي .

الصنف الثاني : لديه مال كافٍ لشراء ما يريد لنفسه فقط ؛ وليس لديه القدرة على إمداد غيره. وهذا الصنف إذا دعا لنفسه استجيب له ، وإذا التجأ إليه غيره والتمس منه الدعاء له ؛ فلن يستجاب للغير لعدم توفر القابلية الكافية عند الداعي.

الصنف الثالث : ليس لديه مال كافٍ لشراء ما يريده لنفسه ، أو لغيره ، وهذا هو المسكين الفقير.

إذا فهمت ذلك.. فكيف يمكن توفير شرط القابلية في الدعاء والإجابة؟ وكيف يزداد وينقص؟

هذا الشرط يتوفر ويزداد وينقص كما هو الحال في المال مثلاً ، فحتى تكسب المال أو تزيده فعليك بالعمل مثلاً ، وحتى تحافظ عليه من النقصان فعليك بالابتعاد عما يسلبه عنك.. والأمر هو كذلك في هذا الشرط.

فإن القابلية في الدعاء والإجابة تتوفر وتزداد بأمور ، ومنها :

١- المعرفة : فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام : ندعو فلا يستجاب لنا؟! قال : «لأنكم تدعون من لا تعرفون»^(١).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٠ ص ٣٦٨ ب ٢٥ / علة الإبطاء في الإجابة.. ح ٤.

٢- حضور القلب ورقته وخشوعه عند الدعاء ، قال الإمام الصادق عليه السلام : «إن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساهٍ ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ، ثم استيقن الإجابة»^(١).

٣- العمل ، قال الإمام الصادق عليه السلام : «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»^(٢).

٤- طيب المكسب : قال الإمام الصادق عليه السلام : «إذا أراد أحدكم أن يستجاب له ؛ فليطيب كسبه ، وليخرج من مظالم الناس ، وإن الله لا يرفع دعاء عبد وفي بطنه حرام ، أو عند مظلمة لأحد من خلقه»^(٣).

٥- الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام ، فإنها من أنجح الأمور لاستجابة الدعاء ؛ بل إنها من شرائطه ، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام : «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد»^(٤) ، وعنه أيضاً : «من دعا فلم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رُفِر الدعاء على رأسه ، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله رفع الدعاء»^(٥).

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤٧٣ ك / الدعاء ب / الإقبال في الدعاء ح ١ .

(٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي : ج ٧ ص ١٤٥ ب ٦٧ / وجوب ترك الداعي للذنوب .. ح ٢ .

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري : ج ٢ ص ٨٧٤ .

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٠ ص ٣١٦ .

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٠ ص ٣١٦ .

وتنقص القابلية في الدعاء فلا تتحقق الإجابة بأمور، ومنها:

١- الذنب: قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً؛ فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إياها، فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني»^(١).

٢- الظلم: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى بن مريم: قل للملأ من بني إسرائيل: لا يدخلوا بيوتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأكف نقية، وقل لهم: إني غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة»^(٢).

وكيفما كان، فإن جميع الأعمال الحسنة - صغيرة كانت أو كبيرة - مما يزيد قابلية النور لدى الإنسان، وجميع الأعمال السيئة مما يزيد قابلية الظلمة لديه، وينقص من قابلية النور^(٣).

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي: ج ٧ ص ١٤٥ ب ٦٧ / وجوب ترك الداعي للذنوب.. ح ١.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٠ ص ٣٥٦ ب ٢٢ / من يستجاب دعاؤه ومن لا يستجاب ح ٩.

(٣) الرسالة الرشتية "تراث الشيخ الأوحد الأحسانى" - الشيخ الأوحد الأحسانى: ج ٩ ص ٣٠-٣١. جواب

الملا عبد الوهاب اللاهيجاني "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٤٠٤-٤٠٥.

الإشراقة الخمسون

هل تعلم..

متى يكسر قانون الدعاء والإجابة؟

لا شك أن قانون الدعاء والإجابة قائم على مبدأ السبب والمسبب، وتحقق الشروط والآداب، وغير ذلك.

ولكن.. قد يكسر هذا القانون في مواطن، ومنها:

١- المواطن التي لا تتحقق فيها الإجابة، أو تتباطأ، وإن تحققت مقدمات الدعاء وأركانه الأساسية؛ ومن ذلك تداخل قانون الدعاء والإجابة مع غيره من القوانين الإلهية الأخرى؛ فيكسر هذا القانون لمقتضيات المصلحة أو الحكمة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كرم الله سبحانه لا ينقض حكمته، فلذلك لا يقع الإجابة في كل دعوة»^(١)؛ كما في حالة:

أ- تداخل قانون الدعاء والإجابة مع قانون الرحمة

فقد تسأل الله سبحانه وتعالى شيئاً فيطئ عليك بالإجابة، أو لا يحققها فيدخر لك خيراً منها؛ وما ذلك إلا رحمة بك لأنه الأعم بما ينفعك ويضررك؛ فلا تقنط، فكم من طلبة ألححت في دعائك لنيلها،

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٢ ص ٨٧٦.

ولما انكشف لك - بعد مدة - سر الحكمة الإلهية في عدم تحققها أو تباطؤها حمدت الله على تديره، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت شيئاً فلم تؤتاه وأتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته وفيه هلاك دينك لو أوتيته»^(١).

ب - تداخل قانون الدعاء والإجابة مع قانون الحب الإلهي وكذلك قد تسأل الله سبحانه وتعالى شيئاً فيبطئ عليك بالإجابة، أو لا يحققها فيدخر لك خيراً منها؛ وذلك لمصالح عدة منها متعلق بمصلحة عامة، ومنها ما تعلق بحبه ﷺ لعبده المؤمن؛ كاختباره بالبلاء، وكحب ﷺ إلحاحه وسماع صوته في دعائه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وتعهده بالبلاء، كما يتعهد المريض أهله بالطرف، ووكل به ملكين فقال لهما: اسقما بدنه، وضيقا عيشه، وعوقا عليه مطلبه، حتى يدعوني فإني أحب صوته، فإذا دعا قال: اكتباً لعبدي ثواب ما سألتني، وضاعفا له

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ٣ ص ٤٨.

حتى يأتيني ، وما عندي خير له ، فإذا أبغض عبداً وكل به ملكين ، فقال : أصلحاً بدنه ، ووسعاً عليه في رزقه وسهلاً له مطلبه ، وأنسياء ذكرى فإنني أبغض صوته حتى يأتيني ، وما عندي شر له»^(١) .

٢- المواطن التي تتحقق فيها الإجابة ، ولا تتباطأ ، وإن لم تتحقق مقدمات الدعاء وشرائطه وآدابه ؛ ومن ذلك :

أ - تداخل قانون الدعاء والإجابة مع التخلية والخذلان

قد تجد إنساناً غارقاً في ذنوبه ، وفي نفس الوقت قد تكون له استجابة حالية في دعائه ؛ فلا تغتر بذلك ، فإن هذا التمكين ليس مما يحبه سبحانه وتعالى ويكون بالإمدادات الإلهية ، وإنما هو التمكين مما يكره سبحانه وتعالى ويكون بالتخليات الإلهية والخذلان ، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٢) ؛ وهذا مصداق ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام قال : «مر رسول الله ﷺ براعي إبل فبعث إليه يستسقيه فقال : أما ما في ضروعها فصبوح الحى ، وأما ما في أنيتها فغبوقهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر في ماله وولده ، ثم مر براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٩٠ ص ٣٧١ ب ٢٤ / علة الإبطاء في الإجابة ح ١٣ .

(٢) سورة الإسراء : (٢٠) .

ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا، وإن أحببت أن نزيدك زدناك، قال: فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزقه الكفاف. فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نجبه، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه، فقال رسول الله ﷺ: إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف»^(١).

ب- تداخل قانون الدعاء والإجابة مع مظان إجابة الدعاء
قد تحتاج إلى إجابة سريعة وليس لديك قابلية لذلك في ساعة الحال، فينكسر قانون الدعاء والإجابة في مظان الإجابة، كما هو الدعاء في الدعاء في الإمكان والأوقات المقدسة، والدعاء للغير في ظهر الغيب، فقد روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب»^(٢)، والدعاء لأربعين مؤمناً، فقد قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام: «من قدم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له»^(٣).^(٤)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٩ ص ٦١ ب ٩٥ / الغنا والكفاف ح ٤.
(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٥٠٧ ك / الدعاء ب ٢٤١ / الدعاء للإخوان بظهر الغيب ح ١.
(٣) وسائل الشريعة - الحر العاملي: ج ٧ ص ١١٧ ب ٤٥ / استحباب دعاء الإنسان لأربعين.. ح ١.
(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٣ ص ٨٥-٩٠. جواب الملا عبدالوهاب اللاهيجاني "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٤٠٣-٤٠٥.

الإشراق الواحدة والخمسون

هل تعلم..

لماذا نصلي صلاة الآيات عند كسوف الشمس أو
خسوف القمر؟

لقد خلق الله سبحانه وتعالى العالم بفعله ، وقدره بحكمته ،
وأجرى الأشياء بفضله على الأسباب والاقتضاءات .

ومن ذلك أنه سبحانه وتعالى أظهر الأرض وما فيها على اعتدال
استدارة الفلك ؛ لأنه سبحانه وتعالى لما خلق الأفلاك جعلها مدبرة
بأمره وتقديره للسفليات ، ولما خلق الأرض جعلها قابلة لما يأتي من
تلك الأفلاك من أحكامها وآثارها ؛ فإذا اختل أحدهما تأثر الآخر
بذلك لمقتضى الارتباط والتفاعل القائم بين القابل والمقبول .

وكيف يحصل ذلك الاعتدال ، وكيف يختل ؟

الجواب : لقد خلق الله سبحانه ملائكة ووكلهم بتحريك الفلك ..
ولما كان تسييح وغذاء الملائكة الطاعة جعل طاعتهم وعبادتهم
إدارتها ؛ أي : كلما أداروا الفلك حصلت لهم الطاعة التي بها
يقوون ، وبها يديرون الفلك .

وبما أن القابل يتأثر في استمداده من انفعال مقبوله ، كما تتأثر
المادة بانفعال مقبولها وهو الماهية ، وكما يتأثر نبض الدم بفساد

وانصلاح الجسد، فإذا اختل اعتدال الجسد بالمرض - مثلاً - تسارعت حركة النبض، وإذا اعتدل الجسد بانصلاحه تباطأت حركة النبض، فكذا هي العلاقة بين استدارة الفلك وأفعال الخلق على الأرض. فإنه إذا كثرت طاعات الخلق من العدل والصلاح وغير ذلك حصلت لهؤلاء الملائكة المعونة في قوتهم (غذاؤهم وتكليفهم)، وخف عليهم إدارة الفلك؛ فيستريحون ويبطئون بالحركة للفلك، وإذا كثرت معاصي الخلق بالظلم والفساد وغير ذلك سرعت في حركة إدارتها للفلك؛ فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله ﷻ جعل لمن جعل له سلطاناً مدة من ليال وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله ﷻ صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله ﷻ صاحب الفلك فأسرع إدارته، وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم»^(١).

ولذلك الاعتدال والاختلال في سرعة الفلك آثار، ومنها: إنه كلما تباطأت حركة الفلك بطاعات العباد طالت الأيام والأعمار،

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤ ص ١٠٣ ب ٣ / البدء والنسخ ح ١٦.

وكثرت الأرزاق، وارتفع الدعاء، وقلّة الأمراض والأوبئة، وكلما تسارعت حركة الفلك بمعاصيهم يحصل العكس؛ أي: تقل الأيام والأعمار، وتنحبس الأرزاق، وينحجب الدعاء، وتظهر الأمراض والأوبئة.

فقد قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

وقال النبي الأعظم محمد عليه السلام: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»^(٢).

ولذلك الاعتدال والاختلال آيات، ومنها: كسوف الشمس وخسوف القمر، قال الفضل بن شاذان - في العلل التي سمعها من الإمام الرضا عليه السلام - أن قال: (فَلِمَ جعلت للكسوف صلاة؟

(١) سورة الروم: (٤١).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٧ ص ٣٧٦ ب ١٣٨ / علل المصائب والحن والأمراض... ح ١٣.

قيل : لأنه آية من آيات الله عز وجل لا يدري لرحمة ظهرت أم لعذاب ؟ فأحب النبي ﷺ أن يفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروها كما صرف عن قوم يونس عليه السلام حين تضرعوا إلى الله عز وجل^(١).

فأمرنا الشارع بصالح الأعمال ؛ كالدعاء ، والصدقة ، وصلاة الآيات ؛ ليرفع سبحانه وتعالى أثر غضبه ، ويصلح ما اختل من أمر تقديره في حكمة اقتضائه^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق : ج ١ ص ١٢١ ب ٣٤ / في العلل التي ذكر الفضل بن شاذان .. ح ١ .

(٢) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٩ ص ٤٥٩ . رسالة في

جواب بعض الأجلاء "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٣ ص ٧١-٧٣ .

الإشراقة الثانية والخمسون

هل تعلم..

من هو إبليس؟

يعتقد البعض أن إبليس شخصية اعتبارية ؛ أي : لا وجود
متشخص لها في الخارج ، أو أنه شيطان من شياطين الجن .. إلخ.
والحق أنه مخلوق حقيقي ، خُلق بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى
العقل الكلي من النور وأسكنه جسد نبيه الأعظم محمد ﷺ ، خلق
بعد ذلك الجهل الكلي من الظلمة وأسكنه جسد إبليس ؛ والآيات
القرآنية والآيات الشريفة التي تتحدث عنه وعن أعماله وتجسده ،
أقوى دليل على حقيقة شخصيته.

وقد كان إبليس يعبد الله على الأرض - قبل أن يخلق النبي آدم
ﷺ - عبادة صورية بقصد تمكينه فيها ، لا بقصد التقرب إليه ، وصعد
إلى الجنة بواسطة الملائكة.

ولما خلق الله سبحانه وتعالى نبيه آدم وأمر الملائكة بالسجود له ،
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ﴾^(١) ، قال - إبليس - : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طِين»^(١)، فأخرجه الله سبحانه وتعالى من جنة الدنيا، ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا﴾^(٢)... ودخل إليها مرة ثانية عن طريق الحية التي كانت من أحسن مخلوقات الجنة آنذاك.

وكان اسمه قبل المعصية عزازيل، وسمي بإبليس بعد طرده، والإبلاس هو القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى^(٣).

وقيل: إن له زوجة اسمها طرطبة صلماء كالحية، تولد من نكاحه لها ثلاثين بيضة، خرج من كل بيضة جنس من الشياطين؛ كالغيلان، والعفاريت، وغيرهم، ﴿أَفْتَحْذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾^(٤).

وقيل: إن الله سبحانه وتعالى خلق في فخذ إبليس الأيمن ذكراً، وفي الأيسر فرجاً فهو ينكح هذه بهذا، فتخرج ذريته^(٥).

وقيل: إن ذرية إبليس كلهم ذكور ليس فيهم الإناث، والإناث تولدوا من أم الصبيان زوجة دفليس بن إبليس، فعن أبي عبد الله عليه السلام

(١) سورة الأعراف: (١٢)

(٢) سورة الأعراف: (١٨).

(٣) لسان العرب - ابن منظور: ج ٦ ص ٣٠ (بلس).

(٤) سورة الكهف: (٥٠).

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٠ ص ٣٠٦.

أنه قال : «الآباء ثلاثة : آدم ولد مؤمناً ، والجان ولد كافراً ، وإبليس ولد كافراً ، وليس فيهم نتاج ، إنما يبيض ويفرخ ، وولده ذكور ليس فيهم إناث»^(١).

وكيد أولاد إبليس الخلد أخف غواية وضلالة من كان منهم بمشاركة الجن فإنهم أشد ضرراً ، والأشد منهم ما كان بمشاركة الإنس ، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم سبحانه وتعالى : ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢) ، وقدمهم لشدة ضررهم.

وكيفما كان ، فإن هنا سؤالاً هاماً ، وهو : هل يُمكن إبليس من أوليائه ويتصور بصورهم ؟

الجواب : نعم ، يُمكن إبليس من أوليائه ويتحد معهم ويتصور بصورهم من جانب رأس النفس الأمارة بالسوء (المعصية) ؛ لأن الجهل الكلي (إبليس) له رؤوس بعدد الخلق ، وكلما انغمس الفرد في هوى نفسه الإمارة بالسوء قرب من تلك الظلمة ، وانكشف له وجه ذلك الرأس حتى يغويه أو يتصور بصورته لو كان من أوليائه. ويتعد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١١ ص ١١١ ب ١ / فضل آدم وحواء .. ح ٢٦ .

(٢) سورة الإنعام : (١١٢) .

عنه لو قوى جانب رأس العقل (الطاعة) ؛ لأن العقل الكلي نور لا ظلمة فيه.

فعن ثعلبة بن زيد الأنصاري قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : (تمثل إبليس - لعنه الله في أربع صور : تمثل في يوم بدر في صورة سرادقة بن جعشم المدلجي ، فقال لقريش : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ ، وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى : إن محمداً والصباء معه عند العقبة فأدركوهم ، فقال رسول الله ﷺ للأنصار : لا تخافوا ، فإن صوته لن يعدوه ، وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد ، وأشار عليهم في النبي ﷺ بما أشار ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ، وتصور يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال ، أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولما قيصرانية وسعوها تتسع فلا تردوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالى»^(١) .^(٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٠ ص ٢٣٣ ب ٢ / إبليس لعنه الله وقصصه .. ح ٧٢ .

(٢) تراث الشيخ الأوحاد "الرسالة القطيفية" - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ٩ ص ٣٥٥.٣٤٧ .

الإشراق الثالثة والخمسون

هل تعلم..

من هم المستضعفون في الدنيا وما مآل أمرهم؟

قد تجدُ إنساناً على وجه الأرض لا هو مقر بالولاية لهم ﷺ ،
ولا هو بمنكر لها ، بمعنى آخر : لا هو بمؤمن ، ولا هو بمنافق ؛ فمن
هو هذا الإنسان ، وما هو مآل أمره ؟

هذا الإنسان هو المستضعف ، وهو من الصنف الثالث في الإجابة
التكوينية في عالم الذر ، فإن الله سبحانه وتعالى لما خلق المخلوقات ،
وكشف لهم - في الخلق الثاني - عن الكتاب الأعلى وصور الطاعة
فيه ، وعن الكتاب الأسفل وصور المعصية فيه ؛ جعلهم صالحين
لقبول الخير والشر ، فعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام :
كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : « جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه ، يعني
في الميثاق »^(١).

ثم أجرى عليهم التكليف على لسان داعية ؛ فلما سألهم :
أأستبرئكم ؟ فأجابوا جميعاً بيلي ، ولذا خلق الخلق مفطورين على

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ١٢ ك / الإيمان والكفر ب : كيف أجابوا وهم ذر ؟ ح ١.

معرفته ﷺ ، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ^(١)﴾.

ولما سألهم: ومحمد ﷺ نبيكم؟ وعلي ﷺ - والأئمة
المعصومين من ولده ﷺ - وليكم وإمامكم؟

انقسمت المخلوقات في الإجابة إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المؤمنون: وهم الذين أجابوا ببلى بلسانهم
وقلوبهم معتقدة مؤمنة بذلك؛ فخلقهم من صورة التصديق، وهي
الصورة الإنسانية.

الصنف الثاني: المنافقون والكافرون: وهم الذين أجابوا ببلى
بلسانهم وقلوبهم منكرة مكذبة بذلك، فخلقهم من صورة الإنكار
والتكذيب، وهي الصورة الحيوانية والشیطانية، وإنما ظهروا بالصورة
الإنسانية في عالم الدنيا لإجابتهم باللسان، وفي الآخرة تسلب منهم
هذه الصورة ويعودون إلى ما منه خلقوا.

٣- المستضعفون: وهم الذين أجابوا ببلى بلسانهم، وتوقفت
قلوبهم؛ أي: لم يقرؤا ولم يحددوا بقلوبهم، فخلقهم على الصورة

(١) سورة لقمان: (٢٥).

الإنسانية لإقرار ألسنتهم ، ولم يخلق بواطنهم بسبب موانع طينتهم ؛
لذا أملهم وأرجأهم حتى يتحقق إقرارهم بقلوبهم .

فعن عمر بن أبان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المستضعفين :
فقال : «هم أهل الولاية ، فقلت : أي ولاية؟ فقال : أما إنها ليس
بالولاية في الدين ، ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة ،
وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار ، ومنهم المرجون لأمر الله عز وجل» ^(١) .

وهؤلاء في تحقق إقرارهم بقلوبهم على ثلاثة أقسام :

أ - فمنهم من يتحقق إقراره في الدنيا لضعف موانع طينته ؛ فإن أقر
قلبه بولايتهم عليهم السلام ألحق بالمؤمنين ، وإن أنكر ألحق بالمنافقين .

ب - ومنهم من يتحقق إقراره في البرزخ لتوسط موانع طينته ،
ويلحق أيضاً بالحزب الذي طابق إقراره .

ج - ومنهم من تكون موانع طينته شديدة فيلهي عنه إلى يوم
القيامة ، فلا يسأل في قبره ، ثم يجد له الخطاب التكليفي مرة ثانية في
يوم القيامة بأن يأمرهم الله سبحانه وتعالى بالدخول في نار الفلق بعد

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤٠٤ ك / الإيمان والكفر ب ١٧٣ / المستضعف ح ٥ .

تأجيجها، فإن أطاع ودخلها، أخرج منها وأدخل الجنة، وإن عصى أدخل النار.

ويدخل تحت عنوان المستضعف من لم يصله التكليف في الدنيات والأطفال الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم، والبله والمجانين، فعن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المستضعف فقال: «هو الذي لا يهتدي حيلة إلى الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فهم الصبيان، ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم»^(١).^(٢)

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٤٠٤ ك/ الإيمان والكفر ب ١٧٣ / المستضعف ح ١.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٣. شرح العرشية - الشيخ الأوحد الأحسائي:

الإشراق الرابعة والخمسون

هل تعلم..

أن النبي الأعظم محمداً ﷺ وأهل بيته
يحضرون للميت في ساعة الاحتضار؟

لا شك أن حضورهم ﷺ للميت في ساعات الاحتضار مما نطقت به الأخبار، ومن ذلك :

ما روي عن عقبة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إن الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى ، قلت : جعلت فداك ، وما يرى؟ قال : يرى رسول الله ﷺ ، فيقول له رسول الله ﷺ : أنا رسول الله ، أبشر ، ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فيقول : أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه ، تحب أن أنفعك اليوم؟»^(١).

وعن عباية الأسدي قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : «والله لا يبغضني عبد أبداً يموت على بغضي إلا رأيته عند موته حيث يكره ، ولا يحبني عبد أبداً فيموت على حبي إلا رأيته عند موته حيث يحب»^(٢).

وهنا بعض الأسئلة الهامة في مسألة حضورهم ﷺ للميت :

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ١٣٢-١٣٣ ك/ الجنائز ب ٨٦ / ما يعاين المؤمن والكافر ح ٨.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ١٣٢-١٣٣ ك/ الجنائز ب ٨٦ / ما يعاين المؤمن والكافر ح ٥.

الأول: هل يعني حضورهم ﷺ للمبغض بما يكره وللمحب بما يحب تصورهم؟

الجواب: أنهم ﷺ يحضرون - أو يظهرون - للمبغض بصورة مخيفة، وللمحب بصورة جميلة؛ بحسب قابلية القابل لا بحسب حقيقتهم.. كيف؟

الجلاد مثلاً.. كيف يراه من سيُقتل على يده؟ يراه بالصورة المخيفة؛ أليس كذلك؟

ولكن ابن الجلاد يرى أباه ذلك الأب الحنون العطوف.. أي: يراه بالصورة الحسنة، هنا حقيقة الجلاد واحدة؛ ولكن القابل هو من يصوره بحسب قابليته.

كذلك الأمر في حضورهم ورؤية الميت لهم؛ فإن لهم حقيقة واحدة، ولكن الأمر بحسب القابل، كما هو الأمر في حياتهم ﷺ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضر في المجلس الواحد، فإن المحب له يراه بأحسن صورة، والمبغض له يراه بالصورة المخيفة، مع أن حقيقته عليه السلام واحدة في ساعة الحضور.

الثاني : كيف يمكن لهم ﷺ الحضور عند كل ميت ، وقد
يحتضر في الدقيقة الواحدة ألوف من البشر - أو أكثر - المتباعدين في
أقطار الأرض ؟

الجواب : لا بد أن ندرك بأن الموجودات في عالم الإمكان ليست
من طينة واحدة ورتبة واحدة ؛ بل إن لكل موجود رتبة خاصة به ،
ولكل رتبة خصائص تختلف عن الأخرى ... وإن ظهرت في الكل
بعض نفس الخصائص إلا أن ظهورها في كل رتبة يختلف عن
الأخرى ؛ فخاصية الحركة - مثلاً - الظاهرة في كل المراتب ، يختلف
ظهورها في الملائكة عن ظهورها في الإنسان ، وظهورها في الإنسان
عن ظهورها في الحيوان ؛ والسبب في ذلك يعود إلى اختلاف أحوال
وتكاليف وحاجات كل رتبة.

فالملك جبرئيل عليه السلام يمكنه أن يخرق عالم الأجسام في طرفة عين ،
وبعض الحيوانات كالفهد يمكنه أن يسير بسرعة تصل إلى (١٠٣
كم/الساعة) ، في حين أن ذلك يستحيل على الإنسان بقوة حركته
العادية من دون آلة طبيعية أو قدرة غيبية تساعد.

ولو تدبرنا في ذلك جيداً ، وأدركنا أن لرتبة حقيقتهم ﷺ خصائص ليست كخصائص رتبنا ، وإن ظهوروا لنا في هذا العالم بالصورة البشرية ؛ سنجد أن ذلك ممكن لهم ﷺ وليس بمحال ؛ بل هو أمر طبيعي في مقام ربتهم ؛ لأنها :

١- الأقرب للمبدأ ، والشيء كلما قرب من المبدأ اشتدت نوريته ، فلشدة نورية أجسامهم وأجسادهم وأرواحهم يمكنهم طي الأرض ، والحضور في كل مكان في آن واحد.

٢- العلة الفاعلية - والمادية والصورية والغائية - لكل المراتب ، فلها الحاكمة والهيمنة على الأسفل منها.

فما دام الأمر مقدوراً عليه عند ملك الموت - عزرائيل عليه السلام - الفاعل بأمرهم - لأنهم الواسطة الأولى - بأمر الله ومدده وأذنه ، والمخلوق من فاضل نورية أجسامهم ﷺ ؛ فمن باب أولى أن يكون ذلك الشيء مقدوراً عليه لهم ؛ كالحرارة فإنها إذا كانت ظاهرة في الأشعة فمن باب أولى أن يكون ظهورها في علتها (الشمس) ، وبصورة أكبر من ظهورها في معلولها^(١).

(١) أجوبة المسائل الكويتية - الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان : ص ٣٩٦، ٣٧٧.

الإشراقة الخامسة والخمسون

هل تعلم..

ماذا يحدث لأجسامنا وأجسادنا بعد الموت؟

لو فتحنا قبر إنسان مؤمن مات من مئات السنين فإننا - في الغالب -
لن نجد شيئاً من جسده العنصري ؛ وفي الوقت نفسه هناك العديد من
الروايات التي تؤكد زيارة الميت المؤمن لأهل بيته ، ولقبره...!
فأين ذهب جسده؟

وكيف يمكن لروحه زيارة تلك الأماكن؟
الجواب: إن للإنسان الموجود في عالم الدنيا الظاهر المشاهد
جسدين وجسمين :

١- الجسد الأول: وهو الصورة البشرية العنصرية الكثيفة التي
تراه بها الآن.

وهذه الصورة متكونة وقائمة بعناصر أرض هذا العالم (الماء ،
الهواء ، التراب ، النار) ؛ أي: إن هذا الجسد مخلوق منها وبها وإليها
أيضاً ؛ فإن الإنسان إذا مات عادت عناصره العنصرية إلى أصلها ؛
أي: يعود الماء إلى الماء ، والهواء إلى الهواء ، والتراب إلى التراب ،
والنار إلى النار.

فهذا الجسد كالثوب يلبسه الإنسان بعد نزوله في هذا العالم، ويخلعه بعد خروجه منه في القبر، فهو ليس من أصله ولا من ذاته، ولا تتعلق به قضية المعاد في يوم القيامة.

٢- الجسد الثاني: وهو الصورة الأصلية الحقيقية للإنسان، وهي موجودة في جوف الجسد الأول، ولا نراها للطافتها الحسية وكثافتنا؛ كالهواء نحن لا نراه، ولكنه شيء حسي لطيف موجود. وهذه الصورة - أو هذا الجسد - متكونة من عناصر أربعة كذلك، ولكنها ليست من العناصر الزمانية كعناصر الجسد الأول الفانية، بل هي عناصر جوهرية باقية أصلها من عناصر أرض عالم هورقليا؛ أي: العالم الذي قبل هذا العالم.

وهذه الصورة تبقى في القبر مستديرة حتى تلجها الروح في يوم القيامة، وهي التي يتعلق بها قضية المعاد؛ لأنها الحاملة لصورة الثوب والعقاب.. وهذه التي تزار في قبر الميت.

٣- الجسم الأول: وهو الجسم البرزخي الذي تركبه الروح بعد خراب الجسد العنصري في القبر؛ أي: بعد موته، وهو موجود في جوف الجسد الأول.

وإذا مات الإنسان خرجت روحه لابسة هذا الجسد إلى عالم البرزخ ؛ لأن الروح لا بُدَّ لها من مركب ، ومركبها في كل عالم بما يماثله .

وبهذا الجسم ينعم ويعذب في جنان ونيران الدنيا ، ويأتي به إلى الأرض فيقطع المسافات في طرفة عين ، ولا تؤثر فيه الكثافات للطافة هذا الجسم ، وبه يظل الإنسان باقياً إلى نفخة الصعق ، وبعدها يضمحل هذا الجسم ؛ أي : تخلعه الروح لأنه من عالم البرزخ ، فلا تعلق لقضية المعاد به أيضاً .

٤- الجسم الثاني : وهو الجسم الأصلي للإنسان ؛ أي : مادة الإنسان الأصلية التي خلقت من شعاع نورهم ﷺ ، وهو أيضاً موجود في جوف الجسد الأول .

وإذا مات الإنسان وخرج إلى البرزخ بالجسم الأول (الجسم البرزخي) فإن هذا الجسم الأصلي يكون في جوفه ، فإذا اضمحل الجسم الأول بعد نفخة الصعق خرجت الروح بهذا الجسم الأصلي ، وذهبت به إلى الجسد الثاني - الأصلي - الموجود في القبر ، فتلجه الروح ، فيعود الإنسان بهذين الأصلين كما خلق أول مرة ، وهذا هو

مفاد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾^(١)، وهما مركب الروح في يوم القيامة، وبهما ينعم ويعذب لأنهما الحاملان لصورة الثواب والعقاب.

فأجسادنا العنصرية تفنى وتعود إلى أصلها، وتبقى الأجساد الأصلية؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام - حينما سُئل عن الميت هل يبلى جسده؟ -: «نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة»^(٢).^(٣)

(١) سورة الأنعام: (٩٤).

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧ ك / الجنائز ب / النوادر.

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ١ ص ٣٩٠، ج ٢ ص ٢٤٨-٢٥٠.

الإشراقة السادسة والخمسون

هل تعلم..

ما هي شبهة الأكل والمأكل؟

أخذت مسألة المعاد الجسماني شطراً كبيراً من تفكير الفلاسفة ، واحتلت مكانة لا بأس بها في سطور كتاباتهم إلى يومنا هذا .. وأولئك الذين أثبتوا إعادة الأرواح دون إعادة الأجسام ، استخدموا أدلة عديدة لتفنيد رأيهم ، ومنها شبهة قديمة أطلق عليها "بشبهة الأكل والمأكول".

ومفاد هذه الشبهة التي تم صياغتها بتعبيرات مختلفة ، وبعده أساليب لتتلاءم مع ظروف إحيائها الزمانية والمكانية ، ومقاصد وغايات التمسك بها ، هو :

إن الثمار والحبوب والفواكه التي يتغذى عليها الإنسان الحي (الآكل) تنبت من تراب الأرض ، وهذا التراب فيه رفات جسد الإنسان الذي مات (المأكول).

بمعنى آخر ، إذا مات الإنسان ودفن وتحلل جسده ، فإن عناصره تمتزج بتراب الأرض ، فتنتقل هذه العناصر إلى النبات أثناء غذائها ، ثم يأتي الإنسان الحي فيأكل ثمارها وفواكهها ، ويأكل كذلك

الحيوانات التي أكلتها.. فيكون الآكل قد أكل الإنسان الذي مات سالفاً.

وهنا قالوا: إذا أكل إنسانٌ إنساناً آخر، فالأجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت في بدن الآكل لها ثلاثة احتمالات:

الأول: إما أن تعاد الأجزاء يوم القيامة في كل واحد منهما، وهذا محال، لاستحالة أن يكون نفس الجزء في آن واحد في شخصين متباينين؛ كأن تكون يد واحدة لزيد ولعمر.

الثاني: أو تعاد الأجزاء في أحدهما؛ أي: تعاد اليد في بدن زيد دون عمر، وهذا خلاف المفروض؛ لأن لازمه ألا يعاد عمر بتمام عينه.

الثالث: أو لا تعاد الأجزاء أصلاً، وهذا أيضاً محال، إذ يلزم منه نفي المعاد.

فالناتج من كل هذه الاحتمالات أنه لا يمكن إعادة الأبدان بأعيانها.

ولو فرض إمكان إعادةتها فتبقى هناك مسألة أخرى، وهي الثواب والعقاب؛ إذ يلزم إما تعذيب المؤمن، أو تنعيم الكافر؛ لأن

بدنه أو جزءاً منه صار جزءاً من بدن الكافر ، وهذا خلاف مقتضى غاية المعاد الجسماني ، وهي الجزء على الأعمال^(١) .
والحق أن هذه الشبهة ضعيفة جداً ، ولا يمكن استخدامها لنفي المعاد الجسماني الذي دلت عليه الأدلة القطعية .
أما من يتعلق بأمر الأجزاء ..

فإن الأجزاء المأكولة ليست هي الجسد الأصلي للإنسان الذي يبقى ، وبه يدخل الإنسان الجنة أو النار ، وإنما هي أجزاء جسده العنصري الذي لحقه أثناء نزوله إلى عالم الدنيا ، وبعد الموت تعود عناصره إلى أصلها من دون أن ينقص من جسد الأصلي شيء .
وأما ما يتعلق بأمر الثواب والعقاب ..

فإن الحامل لهما هو الجسد الأصلي لا الجسد العنصري ، ولو كان غير ذلك لذهبت صورتها بتغيره وتبدله ، فإذا فعل زيد ذنباً وهو سمين أو في عمر العشرين ، ولم يغفر له بتوبة أو بغير ذلك ، ثم نحف أو كبر حتى وصل إلى عمر الأربعين ؛ فهل يذهب ذلك الذنب عنه لتبدل وتغير جسده العنصري ؟

(١) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل - الشيخ جعفر السبحاني : ج ٤ ص ٣٩٦ .

ثم لو قلنا بأن الحامل للشواب والعقاب هو الجسد العنصري،
فلازم ذلك عودة جميع الخلق في يوم القيامة ولا صورة ثواب لهم،
أو صورة ذنب عليهم؛ لذهابهما مع ذهابه، وهذا خلاف ما ورد في
تحقق الجزاء في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١).^(٢)

(١) سورة آل عمران: (١٨٥).

(٢) رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الأكل والمأكول "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ الأوحدي الأحسائي:

ج ٣ ص ١٤١. إحقاق الحق - الميرزا موسى الإحقاقي: ص ٤١-٤٣.

الإشراقة السابعة والخمسون

هل تعلم..

ما قانون نقل الموتى والملائكة النقالة؟

قد تتوفر بعض الأسباب فيدفن بعض الموتى في أماكن مقدسة لا يستحقون الدفن فيها ؛ وقد تتوفر كذلك بعض الأسباب أو الموانع فيدفن البعض الآخر في أماكن ليس من المفترض - في الحكمة الإلهية - دفنهم فيها ؛ فماذا يحدث لهؤلاء ؟

هنا قوانين إلهية كثيرة ، ومن القوانين التي تعمل في مثل هذه الحالات :

القانون الأول : قانون الرحمة والشفاعة

للبيع المقدسة خصوصيات كثيرة ، ومنها أن الميت إذا دفن فيها ؛ إما أن يسقط عنه عذاب القبر ، وينجو من مساءلة منكر ونكير ، فيمهل إلى يوم القيامة ، أو ينال الشفاعة ببركة خصوصية من خصوصياتها كدفن المعصوم عليه السلام فيها أو غير ذلك .

ومن ذلك ما ذكره الشيخ جعفر النقدي في كتابه الأنوار العلوية :
(حكى أن أيام المولى يوسف الكليدار جاء بجنازة لتدفن في الأرض المقدسة ، فرأى الكليدار أمير المؤمنين عليه السلام في منامه يقول له : يأتون

غداً بجنازة على حمار يسوقها رجل، الميت أعور، والحمار أعور،
والسائق أعور؛ فلا تقبل دفنها عندي، وإن أعطوك ملء الأرض
ذهباً. فلما أصبح الصباح جاؤوا بتلك الجنازة على تلك الأوصاف،
فامتنع من دفنها، فبدلوا له مالاً كثيراً، فقال في نفسه: أدفنها ثم
أخرجها وأنقلها من النجف؛ فقبض المال وأمكن من دفن الجنازة في
الحرم الأقدس. فلما كان الليل أتى ليخرجها، وإذا بسلسلة رأسها
عند الميت، والرأس الآخر ينتهي إلى القبر المقدس، وكذا رأس
سلاسل آخر في باقي القبور. فلما ضمه الفراش ونام رأى أمير
المؤمنين عليه السلام يقول له: يا يوسف لم تمتثل أمري وأمكنك من دفن
الجنازة، وما كفأك هذا؟ حتى أردت أن تنقله بعد استجارته بي؟^(١).

القانون الثاني: قانون نقل الموتى بالملائكة النقالة

وفي حالة أخرى، قد ينقل الميت من مكان إلى مكان بواسطة
ملائكة يطلق عليهم بالملائكة النقالة، ومن ذلك ما جاء في رواية أبي
بصير أنه قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام حتى إذا زار قبر جده
عليه السلام بالمدينة وزرنا معه، فقال له رجل من بني يقظان: يا بن رسول

(١) الأنوار العلوية - الشيخ جعفر النقدي: ص ٤٣٢.

الله ! إنهم يزعمون أنهم يزورون أبا بكر وعمر في هذه القبة !؟ فقال
 ﷺ : «مه يا أخا يقظان ، إنهم كذبوا فوالله لو نبش قبرهما لوجد في
 مكانهما سلمان وأبو ذر ، فوالله إنهما أحق بهذا الموضع من غيرهما .
 قال أبو بصير: فقلت : يا بن رسول الله ! كيف يكون انتقال الميت
 ووضع آخر مكانه ؟ فقال ﷺ : يا أبا محمد ! إن الله عز وجل خلق سبعين
 ألف ملك يقال لهم النقاله ، ينتشرون في مشارق الأرض ومغاربها ،
 فيأخذون أموات العباد ويدفنون كلاً منهم مكاناً يستحقه ، وأنهم
 يسلبون جسد الميت عن نعشه ويضعون آخر مكانه من حيث لا
 يدرون ولا يشعرون»^(١).

والسر الإلهي في ذلك هو : إن كل مخلوق بحسب إجابته في عالم
 الذر المبنية على القبول والإنكار يخلق إما من طينة الطاعة أو طينة
 المعصية ، فإذا حانت المقادير الإلهية في نزوله من عالي عالم الإمكان
 إلى عالم الدنيا ، أخذت قبضة القبضة العاشرة (قبضة الأرض) من
 القبضات التي يتكون بها جسمه من تراب ما يماثل أصل خلقته ؛ فإن
 كان مؤمناً أخذت تلك القبضة من تراب الأرضي النورانية ، وإن كان

(١) نفس الرحمن في فضائل سلمان - ميرزا حسين النوري الطبرسي : ج ١ ب ١٧ / فيما يتعلق بما بعد وفاته ..
 ص ٦٣٦ .

منافقاً أو كافراً أخذت تلك القبضة من الأرضي الظلمانية ؛
 كالأراضي السبخة والمالحة . وهذه القبضة هي التي يحصل بها التمازج
 بين النطفتين في مراحل الخلقة الطبيعية .. فإن طبيعة نطفة الرجل
 الحرارة واليبوسة ، أما طبيعة نطفة المرأة البرودة والرطوبة ، وإذا
 اجتمعا كلاهما في الرحم تنافرا لما بينهما من التضاد ، وإذا قدر الله
 خلق الجنين من نطفتيهما ، أمر الملك الموكل بقبض قبضة من تراب
 الأرض التي سيدفن فيها - هذا الجنين - ، فيمزجها مع النطفتين
 ليحصل بينهما الاقتران .

وهكذا إذا ولد على أرض ليست بأرض قبضته ، لا تزال نفسه
 تحن إلى تلك الأرض التي أخذ منها الملك القبضة حتى يسير إليها
 ويدفن فيها ، وإذا لم يسير إليها ومات بغيرها تأتي ملائكة تسمى
 بالملائكة النقالة تنقل جسده الأصلي إلى هناك ؛ ولذا قال النبي
 الأعظم محمد ﷺ : «إن لله تعالى ملائكة موكلين ينقلون الأموات
 إلى حيث يناسبهم»^(١) .^(٢)

(١) الأنوار العلوية - الشيخ جعفر النقدي : ص ٤٣٢ .

(٢) تراث الشيخ الأوحى "الرسالة القطيفية" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٩ ص ٤٦٨ .

الإشراق الثامنة والخمسون

هل تعلم..

إلى أين تذهب الأرواح بعد الموت؟

لا شك أن الموت ليس عدماً وفناءً، بل هو انتقال من دار إلى دار، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس إنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء، لكنكم من دار إلى دار تنتقلون»^(١).
ولكن.. ألم تتساءل يوماً:

إلى أين تذهب الأرواح بعد الموت؟

الجواب: حينما يُدفن الإنسان في قبره يتحلل جسده العنصري، ويبقى الجسد الأصلي مستديراً في القبر إلى يوم القيامة؛ ولكنه لا يرى للطفاته وكثافته.

أما الروح فتخرج بالجسم البرزخي - وفي داخله الجسم الأصلي - إلى عالم يسمى بعالم البرزخ؛ لأن الروح لا يمكن أن تبقى من دون جسم؛ ولذا ليس من الصحيح إطلاق عالم الأرواح على عالم البرزخ، بحيث يكون المقصود منه بقاء الروح من دون جسم، لأن على ذلك لن يمكن مجازاتها في جنان أو نيران البرزخ، أو ستكون

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد: ج ١ ص ٢٣٨.

مجازاتها روحانية لا جسمانية ، وهذا ليس بصحيح ؛ والأصح إطلاق
عالم البرزخ على هذا العالم ؛ لأنه يقع بين عالم الملك وعالم
الدهر ؛ أي : هو عالم متوسط بينهما .

ويسمى كذلك بعالم المثال ، وبالعالم هورقلياً .. وإذا أطلق على
هذا العالم هذين المصطلحين فإن لذلك عدة معانٍ :
الأول : يقصد بهما مطلق عالم المثال .

الثاني : يقصد بهما أفلاكه وما فيها من الكواكب - أي : أعلاه
المرتبط بالدهر - ، وهي الجهة الأصلية لعالم المثال .

الثالث : يقصدون بهما أرضه - أي : جهته السفلى المرتبطة
بالزمان اللطيف - ، وهي الجهة العلوية لعالم الملك الحسي الذي فيه
مدينة جابلقا وجابرسا ، وجنان ونيران الدنيا .

فإن الأرواح بعد الموت إن كانت مؤمنة أوت جنان الدنيا - التي
أهبط منها آدم - ، وهي في جهة المغرب ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(١) ، وإن كانت كافرة أوت نار الدنيا في جهة

(١) سورة مريم الآية : (٦٢) .

المشرق، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(١).

ولهذا العالم خصائص كثيرة، ومنها:

١- طبيعته: لهذا العالم طبيعة ممتزجة، فلأعلاه (أفلاكه) طبيعة مجردة لتماسها مع عالم الدهر، ولأسفله (أرضه) طبيعة حسية لطيفة لتماسها مع عالم الدنيا في أسفل عالم الزمان في جزئه اللطيف الباطن؛ وليس في الجزء الكثيف الظاهر.

وإذا كان لأرض عالم هورقلياً طبيعة حسية لطيفة، فكل ما يوجد فيها كمدينة جابلقا وجابرسا، وجنان الدنيا ونيران الدنيا لها نفس الطبيعة؛ أي: إن النعيم والعذاب فيهما حسيان لطيفان، وكذلك كل ما يخلق من تلك الأرض أو من عناصرها يأخذ أيضاً تلك الطبيعة، كالجسد الأصلي.

٢- الزمان والمكان: يمتاز زمان هذا العالم بالإضافة إلى خاصية التجرد في أعلاه، وخاصية اللطافة الزمانية في أسفله؛ بخاصة الإحاطة كذلك للعالم الذي أسفل منه؛ أي: عالم الدنيا الكثيف؛

(١) سورة غافر- الآيات: (٤٥-٤٦).

لأن العالي يحيط بالسافل ولا عكس ، وعالم هورقليما لما كان يسبق عالم الدنيا ؛ فهو محيط به زماناً ومكاناً.. بمعنى آخر ، إن وقته أوسع بكثير من عالم الدنيا ، فالماضي والحاضر والمستقبل مصطلحات موجودة في عالمنا ؛ ولكنها تنعدم في زمان ذلك العالم ، فيستطيع الموجود هناك الإحاطة بكل هذه الأوقات في الآن نفسه.

وأما المكان ، فهو كالزمان من ناحية التجرد عن المادة العنصرية في أعلاه ، ومن ناحية لطافته الحسية في أسفله ، وهو كذلك من ناحية الإحاطة ؛ فمساحته أوسع بكثير من مساحة من عالم الدنيا.. بل لا يستطيع أحد أن يتصور مساحة عالم هورقليما (البرزخ) ، حتى الموجودين فيه من الأموات^(١).

(١) شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ٣٧٥. تراث الشيخ الأوحى "الرسالة القطيفية" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٩ ص ٣٩١. رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥٠-٤٥١.

الإشراقة التاسعة والخمسون

هل تعلم..

ما عدد الجنان والنيران ومن سكانها؟

لا شك أن المؤمنين ليسوا سواسية في درجات الإيمان، والكفار والمنافقين ليسوا كذلك، وعلى ذلك فمن المحال أن يكون هناك جنة واحدة للمطيعين، ونار واحدة للعاصين، بل ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾^(١).

وهذا ما دلت عليه العديد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة من أن هناك تسعاً وعشرين داراً في الآخرة، لجنان الخلد خمس عشرة داراً، ولنيران الخلد أربع عشرة داراً، وهي كالتالي:

أولاً: جنان الآخرة الأصلية وحظائرها

وهي ثمان جنان خلقت من طينة الرحمة، ولكل جنة حظيرة تحتها - أي: ظل لجنة الأصل - إلا جنة عدن:

الأولى: وهي أعلاها، جنة عدن، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)؛

(١) سورة الأحقاف: (١٩).

(٢) سورة النحل: (٣١).

وهذه خاصة للنبي الأعظم محمد ﷺ، وأهل بيته عليه السلام، ولمن لحق بهم بالمجاورة من الأنبياء والمرسلين والأوصياء عليه السلام، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام - في أجوبته عن مسائل اليهودي -: «وأما منزل محمد ﷺ من الجنة في جنة عدن، وهي وسط الجنان وأقربها إلى عرش الرحمن جل جلاله، والذين يسكنون معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر»^(١).

الثانية: جنة الفردوس، «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا»^(٢). الثالثة: جنة العالية، «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^(٣). الرابعة: جنة النعيم، «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ»^(٤). الخامسة: جنة دار المقام، «الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ»^(٥). السادسة: جنة دار الخلد، «قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٨ ص ١٨٩ ب ٢٣ / الجنة ونعيمها.. ح ١٦١.

(٢) سورة الكهف: (١٠٧).

(٣) سورة الحاقة: (٢٣-٢٢).

(٤) سورة الحج: (٥٦).

(٥) سورة فاطر: (٣٥).

الْمَتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا^(١). السابعة: جنة المأوى ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢). الثامنة: جنة دار السلام، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وهذه السبع الجنان يدخلها من محض الإيمان محضاً (للمؤمنين) على حسب درجاتهم في الإيمان، ولها سبع حظائر يدخلها أولاد الزنا من المؤمنين إلى سبعة أبطن، وبعد البطن السابع يلحق بجنان المؤمنين الأصلية، ومؤمنو الجن لأنهم خلقوا منها وإليها يعودون، والمجانين الذين لم يكن لهم شفعاء من آبائهم.

ثانياً: نيران الآخرة الأصلية وحظائرها

وهي سبع نيران خلقت من طينة الغضب، ولكل نار حظيرة تحتها:

الأولى: جهنم، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾^(٤)، الثانية: لظى، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى

(١) سورة الفرقان: (١٥).

(٢) سورة السجدة: (١٩).

(٣) سورة الأنعام: (١٢٧).

(٤) سورة التوبة: (٣٥).

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾^(١)، الثالثة: الحطمة، ﴿كَلاَّ لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾^(٢)، الرابعة: السعير، ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣)، الخامسة: سقر، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾^(٤)، السادسة: الجحيم، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾^(٥)، السابعة: الهاوية، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾^(٦).

وهذه النيران لمن محض الكفر محضاً (للكافرين، والمنافقين، والمشركين، والمغضوب عليهم من أعداء الدين)، أما حظائرها فيعذب فيها عصاة الشيعة ممن لم يصف في الدنيا بالبلايا، أو عند الموت، أو في البرزخ أو في أهوال يوم القيامة؛ فإذا طهر أخرج منها وغمس في عين الحيوان وأدخل جنة المأوى^(٧).

(١) سورة المعارج: (١٧-١٦-١٥).

(٢) سورة الهمة: (٦٥-٤).

(٣) سورة سبأ: (١٢).

(٤) سورة المدثر: (٢٨-٢٧-٢٦).

(٥) سورة التكويد: (١٢).

(٦) سورة القارعة: (١١-١٠-٩-٨).

(٧) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحى الأحسائي" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٩ ص ٣٤٣. أحوال

البرزخ والآخرة - الشيخ الأوحى الأحسائي: ص ٢٠٨-٢٠٥.

الإشراقة الستون

هل تعلم..

ما الرجعة وما يحدث فيها؟

ما من إنسان إلا ولديه أمنيات دنيوية ، ويعمل جاهداً للوصول إليها وتحقيقها ؛ ولكن.. هل فكرت يوماً في أمنياتك بعد الموت ؟
حتماً.. لقد فعلت ذلك ، ولكن ، ما هي تلك الأمنيات ؟
هل تمنيت أن تدخل الجنة ؟

أم تمنيت أن تكون في مرتبة معينة في الجنة ؟
أم تمنيت أن تحصل على كذا شيء فيها ، وتفعل كذا شيء.. الخ.
جميع هذه الأمنيات الأخروية جميلة ؛ ولكن لماذا تحاول اختزال أمنياتك بعد الموت على جنة الآخرة ، فهناك جنة ستكون في الرجعة !
فإن الرجعة من الأمور المحتومة ، وهي عودة الحياة إلى مجموعة من الأموات - من محض الإيمان محضاً ، ومن محض الكفر محضاً - بعد ظهور الإمام الغائب المهدي عليه السلام ، وعودة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

فقد ورد في الزيارة الجامعة : «مؤمن بإيابكم ، مصدق برجعتكم ،
منتظر لأمركم ، مرتقب لدولتكم.. فثبتني الله أبداً ما حييت على

موالاتكم ومحببتكم ودينكم، ووفقني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم، التابعين لما دعوتكم إليه، وجعلني ممن يقتصر آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمركم، ويكر في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكن في أيامكم، وتقر عينه غداً برؤيتكم»^(١).

وقال عليه السلام للمفضل بن عمر: «يا مفضل، أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم تأمر وتنهي والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم»^(٢).

وهل تكون الرجعة عامة لجميع المؤمنين؟

ليست كذلك، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام، وإن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة، لا يرجع إلى الدنيا إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً»^(٣).

وكيف تقع؟ وما يحدث فيها باختصار؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٩ ص ١٢٧ ب ٨ / الزيارات الجامعة / الزيارة الثانية ح ٤ ص ١٣١.

(٢) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعة): ص ٤٦٤ ح ٤٤٧ / ٥١.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٣ ص ٣٩ ب ٢٩ / الرجعة ح ١.

في السنة التي يخرج فيها الإمام المنتظر - روجي فده - تنبت لحوم شيعته وأنصاره قبل خروجه بعد أن يقع مطرٌ متوالٍ مدة أربعين يوماً... ثم يخرج ﷺ في يوم الجمعة العاشر من محرم.

وبعد مضي سنوات من ملكه يخرج الإمام الحسين عليه السلام، ويبقى صامتاً إلى أن يقتل القائم ﷺ على يد امرأة من بني تميم اسمها سعيدة ترميه بجاون من صخر على رأسه فتقتله، فيكفنه ويصلي عليه ويدفنه الإمام الحسين عليه السلام، ثم يحكم من بعده إلى خروج أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في نصرته وحتى قتله، ولذا قال: «أنا الذي أقتل مرتين، وأحيى مرتين، وأظهر كيف شئت»^(١).

ويتمد حكم الإمام الحسين عليه السلام حتى يرجع الأئمة عليهم السلام واحداً تلو الآخر، ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم يقتلون مع إبليس في بابل، وينزل الرسول ﷺ من الغمامة وفي يده حربة من نار يقتل بها إبليس وشيعته، ثم يحكم ﷺ في الأرض والأئمة عليهم السلام وزراؤه في أطرافها؛ ولذا ورد في الزيارة الجامعة: «وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى»، الأولى: بمعنى أيام الرجعة.

(١) مشارق أنوار اليقين - الحافظ رجب البرسي: ص ٢٧٠.

وفي أيامها تطول الأعمار ؛ لأنها من درجات البرزخ ، فتصفو فيها كثافة الأجسام حتى تلتطف ؛ أي : تصفى العنصرية منها لا الأصلية ، لدرجة أنها تساوي الأرواح في كثير من صفاتها ، ويصلح النظام فيها ؛ لأن الأفلاك تصفو كذلك في تلك الأيام ، وتكتمل العقول ببركاتهم عليهم السلام ، وغير ذلك .

فمن أراد الرجوع معهم عليهم السلام ، ونصرتهم ، فعليه أن يسعى لذلك بأن يكون ماحضاً للإيمان ؛ أي : يعرفهم بالمعرفة النورانية ؛ لأن محض الإيمان شرط في ذلك ^(١) .

(١) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد الأحسائي" - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٩ ص ٣٨٠-٣٨٤ .

مصادر ومراجع الكتاب

١- القرآن الكريم.

٢- أبواب الهدى - الميرزا مهدي الأصفهاني: طهران - مركز
فرهنگي انتشاراتي منير، الطبعة الأولى (١٣٨٧ ش).

٣- أجوبة المسائل الكويتية في علم الحكمة ومراتب الأئمة عليهم السلام -
الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان: الطبعة الأولى، (١٤٣٢ هـ).

٤ - إحقاق الحق - الميرزا موسى الأسكوئي: الكويت - مكتبة الإمام
الصادق عليه السلام العامة، الطبعة الرابعة (١٤٢١ هـ).

٥- أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت -
مؤسسة شمس هجر، الطبعة الأولى (١٤٣٠ هـ).

٦- أسرار الشهادة - السيد كاظم الرشتي الحسيني: مؤسسة بنت
الرسول عليها السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، (١٤٢٢ هـ).

٧- أعلام هجر من الماضيين والمعاصرين - السيد هاشم
الشخص: قم - مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الثانية
(١٤١٦ هـ).

٨- إقبال الأعمال - رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

٩- أمالي الشيخ الصدوق - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ (الصدوق) : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الخامسة (١٤٠٠هـ).

١٠- أهل البيت في الكتاب والسنة - محمد الريشهري : دار الحديث ، الطبعة الثانية (١٣٧٥ ش).

١١- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب - الشيخ علي اليزدي الحائري : السيد علي عاشور.

١٢- الأنوار العلوية - الشيخ جعفر النقدي : النجف - المطبعة الحيدرية ، الطبعة الثانية (١٣٨١هـ).

١٣- الإثنا عشرية في الرد على الصوفية - الحر العاملي : قم المقدسة - دار الكتب العلمية.

١٤- الإرشاد - للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الشهير بـ (المفيد) : قم المقدسة - المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).

١٥- الإلهيات على هدى القرآن والسنة - الشيخ جعفر السبحاني :
الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

١٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - الشيخ محمد
باقر المجلسي : بيروت - دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة
(١٤٠٣هـ).

١٧- بصائر الدرجات الكبرى - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ
الصفار : طهران - مؤسسة الأعلمي ، (١٤٠٤هـ).

١٨- البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني : بيروت -
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ).

١٩- تاريخ ماد - دياكونوف / ترجمة كريم كشاورز : طهران -
ينكاه ، (١٣٤٥ش).

٢٠- تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم : مصر - مؤسسة هنداوي
للتعليم والثقافة (٢٠١٢م).

٢١- تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : بيروت - دار المحجة
البيضاء ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

- ٢٢- تفسير العياشي - أبي نصر محمد بن مسعود السلمي
السمرقندي: بيروت - مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).
- ٢٣- تفسير الصراط المستقيم - السيد حسين البروجردي: قم -
مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- ٢٤- تراث الشيخ الأوحّد - الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت -
مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الأولى
(١٤٣٢هـ).
- ٢٥- التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن
الحسن الطوسي: بيروت - دار الهدى.
- ٢٦- التوحيد - أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي
(الصدوق): قم - جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- ٢٧- جواهر الحكم - السيد كاظم الرشتي: العراق - مؤسسة الغدير
للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).
- ٢٨- حديقة الشيعة - المقدس الأردبيلي: قم - انتشارات انصاريان،
الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ).

٢٩- حلية الأبرار - السيد هاشم البحراني : الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٣٠- حياة النفس - الشيخ أحمد الأحسائي.

٣١- الحج والعمرة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري : قم - دار الحديث ، الطبعة الأولى (١٣٧٦ ش).

٣٢- الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي : بنيد القار ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٣٣- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة - الملا صدرا الشيرازي : بيروت - دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة (١٩٨١م).

٣٤- دلائل الإمامة - الشيخ محمد بن جريري الطبري (الشيعة) : قم - مؤسسة البعثة ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).

٣٥- الدين - د. محمد عبدالله دراز : الكويت - دار القلم ، (بدون تاريخ).

٣٦- الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الأحقائي : الكويت - منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام (١٩٩٢م).

- ٣٧- الذريعة في تصانيف الشيعة - العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني: بيروت - دار الأضواء، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).
- ٣٨- رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت - الدار العالمية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٣٩- الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي: مؤسسة شمس هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).
- ٤٠- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي/ تحقيق وتعليق: د. حسين محفوظ: بغداد - دار المعارف (١٩٥٧م).
- ٤١- شرح حياة الأرواح - الميرزا حسن كوهر: تبريز، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ).
- ٤٢- شرح المشاعر - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت - مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).
- ٤٣- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: مؤسسة الإحقاقي - الأميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).
- ٤٤- شرح العرشية - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٤٥- شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٤٦- الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها - السيد محمد حسن الطالقاني : بيروت - الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٤٧- الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام السجاد عليه السلام : قم - مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٤٨- عدة الداعي ونجاح الساعي - الشيخ أحمد بن فهد الحلبي : قم - مكتبة الوجداني.

٤٩- علل الشرائع - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) : بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى.

٥٠- عوالي اللآلي - الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي : قم المقدسة - دار سيد الشهداء ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).

٥١- عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) : بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

٥٢- العلم والحكمة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري : مؤسسة دار الحديث الثقافية ، الطبعة الأولى.

٥٣- غاية المرام - السيد هاشم البحراني : تحقيق علي عاشور.

٥٤- الغيبة - الشيخ الطوسي : بيرت - دار الهداية ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٥٥- الفروق اللغوية - أبو هلال الحسن بن مهران العسكري : مصر - دار العلم والثقافة.

٥٦- قصة الفلسفة اليونانية - نجيب زكي محمود وأحمد أمين : مؤسسة هنداوي - المملكة المتحدة (٢٠١٨م).

٥٧- كشكول الشيخ الأحسائي - الشيخ أحمد الأحسائي : بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

٥٨- كيفية السلوك إلى الله - الشيخ أحمد الأحسائي : الكويت - مكتبة الصالحين.

٥٩- الكافي - الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني : بيروت - دار الأضواء (١٤٠٥هـ).

٦٠- لسان العرب - جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٦١- اللعة البيضاء - التبريزي الأنصاري: الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

٦٢- مشارق أنوار اليقين - الحافظ رجب البرسي: بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

٦٣- مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي.

٦٤- مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار - الشيخ محمد آل أبي خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٦٥- مستدرک سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي: (١٤١٨هـ).

٦٦- مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامني: طهران - مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).

٦٧- مستدرک الوسائل - الميرزا حسن النوري الطبرسي: قم المقدسة - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).

- ٦٨- مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز الله عطاردي : المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ، (١٤٠٦هـ).
- ٦٩- معجم مقاييس اللغة - أبي الحسن أحمد بن فارس : مكتب الإعلام الإسلامي ، (١٤٠٤هـ).
- ٧٠- منهاج السالكين - الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي : الكويت - جامع الإمام الصادق ، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ).
- ٧١- ميزان الحكمة - محمد الريشهري : دار الحديث ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
- ٧٢- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ : مركز بحوث دار الحديث ، الطبعة الثانية (١٤٢٥هـ).
- ٧٣- المكاسب - الشيخ مرتضى الأنصاري : مجمع الفكر الإسلامي.
- ٧٤- المنطق - العلامة محمد رضا المظفر : بيروت - مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى.
- ٧٥- الميزان في تفسير القرآن - العلامة محمد حسين الطباطبائي : قم - مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان ، (١٣٩٣هـ).

- ٧٦- نجاة الهالكين - الشيخ محمد أبو خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).
- ٧٧- نفس الرحمن في فضائل سلمان - الميرزا حسين النوري الطبرسي: مؤسسة الآفاق، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).
- ٧٨- نهاية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: قم - مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٤٣٠هـ).
- ٧٩- نهج البلاغة - الشريف المرتضى: قم المقدسة - دار الأسوة، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- ٨٠- نوار المعجزات في مناقب الأئمة الهداة عليهم السلام - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (الشيوعي): قم - مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، (١٤١٠هـ).
- ٨١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي: قم المقدسة - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

فهرس الكتاب

٥	الإهداء
٧	مقدمة المؤلف
١٣	مختصر سيرة الشيخ الأوحـد الأحسائي

الإشراقـة الأولى

هل تعلم: ما الفرق بين الدين والقراءة الدينية؟

الإشراقـة الثانية

هل تعلم: متى يكون الاختلاف معتبراً في القراءات الدينية

ومتى لا يكون؟

الإشراقـة الثالثة

هل تعلم: أن الفلسفة اليونانية أخذت من الأنبياء ﷺ

ولكنها حرفت ووقع الخطأ الكثير في تعريبها؟

الإشراقـة الرابعة

هل تعلم: أن تراث الفكر الشيعي تلوث بالتصوف؟

الإشراقـة الخامسة

هل تعلم: ما هو العرفان؟

٤٩

الإشراقة السادسة

هل تعلم: ما هو الكشف أو المكاشفة عند العرفاء؟

الإشراقة السابعة

٥٥

هل تعلم: ما دليل الحكمة الإلهية؟

الإشراقة الثامنة

٦١

هل تعلم: ما أقسام دليل الحكمة وشروطها؟

الإشراقة التاسعة

هل تعلم: أنه لا يمكن للمخلوق إدراك أو تصور حقيقة ذات

٦٧

الله سبحانه وتعالى؟

الإشراقة العاشرة

هل تعلم: ما حقيقة الوصف الذي وصف الله سبحانه وتعالى

٧٣

به نفسه لمعرفته؟

الإشراقة الحادية عشرة

هل تعلم: ما الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية لله

٧٩

سبحانه وتعالى؟

الإشراقة الثانية عشرة

٨٥

هل تعلم: من أي شيء خلقنا الله سبحانه وتعالى؟

الإشراق الثالثة عشرة

هل تعلم: أن معرفتهم ﷺ بالنورانية هي الحد الواجب والمطلوب؟

٩١

الإشراق الرابعة عشرة

هل تعلم: أن معرفتهم ﷺ الظاهرية داخلية في الحد الواجب والمطلوب ومنجزة ومعذرة ولكن بشروط؟

٩٧

الإشراق الخامسة عشرة

هل تعلم: ما حد الغلو والتقصير في النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ؟

١٠٣

الإشراق السادسة عشرة

هل تعلم: ما هي المقامات الكلية الأربعة للنبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ؟

١٠٩

الإشراق السابعة عشرة

هل تعلم: أن النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ هم العلل الأربع للموجودات؟

١١٥

الإشراقة الثامنة عشرة

هل تعلم: أن النبي الأعظم محمدًا ﷺ وأهل بيته ﷺ

يتساوون من جهة ويتفاضلون من جهة؟ ١٢١

الإشراقة التاسعة عشرة

هل تعلم: لماذا النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ

الواسطة في تلقي الفيض وتوزيعه على

المخلوقات؟ ١٢٧

الإشراقة العشرون

هل تعلم: أن للنبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ القدرة

على الخلق والرزق والإحياء والإماتة؟ ١٣٣

الإشراقة الواحدة والعشرون

هل تعلم: لماذا لا يظهر لنا النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته

بحقائق صورهم النورانية؟ ١٣٩

الإشراقة الثانية والعشرون

هل تعلم: لماذا يأكل ويشرب الإمام المعصوم ﷺ السم وهو

يعلم به؟ ١٤٥

الإشراق الثالثة والعشرون

- هل تعلم: أنه لا محذور من عروج النبي الأعظم محمد ﷺ
بجسمه وثيابه ونعله؟
- ١٥١

الإشراق الرابعة والعشرون

- هل تعلم: لماذا سمي أمير المؤمنين علي ﷺ بعلي؟
- ١٥٧

الإشراق الخامسة والعشرون

- هل تعلم: لماذا سمي يوم عيد الغدير بيوم الميثاق ويوم
الولاية؟
- ١٦٣

الإشراق السادسة والعشرون

- هل تعلم: لماذا يستجاب الدعاء تحت قبة سيد الشهداء الإمام
الحسين ﷺ؟
- ١٦٩

الإشراق السابعة والعشرون

- هل تعلم: لماذا أصحاب الإمام الحسين ﷺ كانوا يتسابقون
إلى الموت من أجله؟
- ١٧٥

الإشراق الثامنة والعشرون

- هل تعلم: ما سر أربعينية الإمام الحسين ﷺ؟
- ١٨١

الإشراقة التاسعة والعشرون

هل تعلم: أيهما أكبر القرآن الكريم أم النبي الأعظم محمد

١٨٧

ﷺ وأهل بيته ﷺ؟

الإشراقة الثلاثون

١٩٣

هل تعلم: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

الإشراقة الواحدة والثلاثون

هل تعلم: ما فائدة الحروف المقطعة في بداية سور القرآن

١٩٩

الكريم؟

الإشراقة الثانية والثلاثون

هل تعلم: أن الأعداد المذكورة في الآيات القرآنية ليست مجرد

٢٠٥

أعداد رقمية؟

الإشراقة الثالثة والثلاثون

٢١١

هل تعلم: ما الحقيقة النورانية لفريضة الحج؟

الإشراقة الرابعة والثلاثون

٢١٧

هل تعلم: ما حقيقة مناسك الحج؟

الإشراقة الخامسة والثلاثون

هل تعلم: لماذا صارت الكعبة مربعة وصار الطواف حولها

٢٢٣

سبعة أشواط؟

الإشراقة السادسة والثلاثون

٢٢٩

هل تعلم: ما حقيقة الصيام؟

الإشراقة السابعة والثلاثون

٢٣٥

هل تعلم: متى تقيد وتصفد الشياطين في شهر رمضان؟

الإشراقة الثامنة والثلاثون

٢٤١

هل تعلم: ما الأوعية الوقتية للعوالم الإلهية؟

الإشراقة التاسعة والثلاثون

٢٤٧

هل تعلم: ما هي أطوار خلق الإنسان؟

الإشراقة الأربعون

هل تعلم: ما أصل حسن الخلق في الكافر وسوء الخلق في

المؤمن، ولماذا يتولد المؤمن من صلب الكافر

٢٥٣

والكافر من صلب المؤمن؟

الإشراقة الواحدة والأربعون

٢٥٩

هل تعلم: أن الاسم يؤثر على المسمى؟

الإشراقة الثانية والأربعون

هل تعلم: ما هي الفطرة؟ ٢٦٥

الإشراقة الثالثة والأربعون

هل تعلم: أن الإنسان ليس حيواناً ناطقاً؟ ٢٧١

الإشراقة الرابعة والأربعون

هل تعلم: لماذا الحسنة بعشر والسيئة بواحدة؟ ٢٧٧

الإشراقة الخامسة والأربعون

هل تعلم: ما هو البداء؟ ٢٨٣

الإشراقة السادسة والأربعون

هل تعلم: أن الإنسان مهما بلغ من رتبة في الإيمان لا يمكنه أن يترقى طويلاً فيصل إلى رتبة الحقيقة المحمدية؟ ٢٨٩

الإشراقة السابعة والأربعون

هل تعلم: أن انقلاب كل شيء في عالم الوجود يكون في أربعين كوراً أو دوراً؟ ٢٩٥

الإشراقة الثامنة والأربعون

هل تعلم: لماذا ندعو ولا يستجاب لنا؟ ٣٠١

الإشراق التاسعة والأربعون

هل تعلم: كيف يتوفر شرط القابلية في الدعاء والإجابة وكيف
يزداد وينقص؟

٣٠٧

الإشراق الخمسون

هل تعلم: متى يكسر قانون الدعاء والإجابة؟

٣١٣

الإشراق الواحدة والخمسون

هل تعلم: لماذا نصلي صلاة الآيات عند كسوف الشمس أو
خسوف القمر؟

٣١٩

الإشراق الثانية والخمسون

هل تعلم: من هو إبليس؟

٣٢٥

الإشراق الثالثة والخمسون

هل تعلم: من هم المستضعفون في الدنيا وما مآل أمرهم؟

٣٣١

الإشراق الرابعة والخمسون

هل تعلم: أن النبي الأعظم محمداً ﷺ وأهل بيته عليهم السلام
يحضرون للميت عند ساعة الاحتضار؟

٣٣٧

الإشراق الخامسة والخمسون

هل تعلم: ماذا يحدث لأجسادنا وأجسامنا بعد الموت؟

٣٤٣

الإشراقة السادسة والخمسون

هل تعلم: ما هي شبهة الأكل والمأكل؟ ٣٤٩

الإشراقة السابعة والخمسون

هل تعلم: ما قانون نقل الموتى والملائكة النقالة؟ ٣٥٥

الإشراقة الثامنة والخمسون

هل تعلم: إلى أين تذهب الأرواح بعد الموت؟ ٣٦١

الإشراقة التاسعة والخمسون

هل تعلم: ما عدد الجنان والنييران ومن سكانها؟ ٣٦٧

الإشراقة الستون

هل تعلم: ما الرجعة وما يحدث فيها؟ ٣٧٣

مصادر ومراجع الكتاب

٣٧٩

فهرس الكتاب

٣٩٣

